مركز البحوث والمعلومات

معركة عين جالوت

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

دراسة مقدمة في ندوة الفكر العسكري العربي

بغداد - نيسان - ١٩٨٦

من كتب
مثنى الشامين
١٩٨٦/٩/٢٠

مَعْرَكَة عَيْن جَالُوت

رمضان ٦٥٨ هـ / ايلول ١٢٦٠

م. سرمد حاتم شكر

تأليف

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

استاذ التاريخ الحديث المساعد

في كلية التربية ـ جامعة بغداد

دار الحرية للطباعة ـ بغداد

١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م

كلمة

لم تعد معرفة الامة بماضيها واحداث تاريخها وابداعاتها واضافاتها الخلاقة عبر هذا التاريخ ، نشاطاً يقتصر السعي في مضماره على المختصين من المؤرخين والباحثين المهتمين بهذه المعرفة ، بل انها باتت نشاطاً ذا طبيعة عامة ، وموضعاً لاهتمام واسع النطاق وعلى مختلف الاصعدة والاوساط والمستويات العلمية والمعرفية .

ويرجع الاتساع في دائرة الاهتمام بالمعرفة التاريخية الى اهمية هذه المعرفة ودورها الكبير في اضاءة انوار الوعي على طريق بناء صرح المستقبل واستشراف ابعاده وارساء اسسه استناداً الى وعي عميق بروح الامة ومبادئها وسماتها واضافاتها الابداعية الخلاقة .

واذا كان هذا هو الداعي للاهتمام بتاريخ الامة واحداثه واضافاتها فيه ، فأن من بين هذه الاحداث والاضافات مايكون اولى بالدراسة والبحث مما عداه لانه يمثل احداثاً اساسية بالغة الاهمية من جهة ولتضمنه اضافات تطبيقية تستند الى جذور فكرية عميقة ورصينة من جهة اخرى .

وتبرز الاحداث والاضافات العسكرية باعتبارها من هذا النوع الجدير بالاهتمام المستحق للدراسة والبحث ، لما تقدمه لنا دراستها والاحاطة بخصائصها وسماتها من فرص كبيرة للمعرفة والاطلاع ليس على ماقدمته الامة من ابداعات واضافات فكرية وتطبيقية في اطارها فحسب ، بل وللمعرفة ايضا بابداعات الامة واضافاتها الشاملة والكلية ضمن نظرتها الشمولية للحياة

فالعقيدة كما يقول السيد الرئيس القائد ((حفظه الله)) [حالة متكاملة .. فالعقيدة العسكرية هي حالة مولودة عن عقيدة الحياة للامة .. ان العقيدة العسكرية هي امتداد عقيدة الحياة هـذه التي تولـد عنهـا النظرية الاجتماعيـة لبناء الامـة ونظرية بناء القوات المسلحة وتنظيمهـا واستخدامها وامكاناتها] .

وبذلك فان الاحاطة بهذا الركن تمثل مساهمة اساسية ومهمة في النشاط المعرفي الهادف الى الاحاطة بالرؤية الكلية لفكر الامة وتاريخها .

يدعم هذا الاتجاه ويزيد من اهميته وضرورته عوامل عدة منها :

— الدعوة الرائدة والمتكررة من قبل السيد الرئيس القائد (حفظه الله) الى اعادة كتابة تاريخ الامـة وقراءته قراءة متأنية وعميقة تتيح لنا ان نستخلص ماينسبه من افكار ومبادىء وتجارب خلاقة اخفتها واضاعت معالمها الطرق القديمة في كتابته ودراسته .

— اقتصار الدراسات والبحوث التاريخية التي يقدمها المؤرخون والباحثون العرب على دراسة الفكر العسكري في اطاره التطبيقي كمعارك وحركات جيوش وباسلوب استعراضي سردي تعوزه الدراسـة التحليلية القادرة على استشراف الجذور الفكريـة للعقيدة العسكريـة العربية في جانبيها السوقي والتعبوي .

— الاهمال الكبير الذي عانت منه احداث التاريخ العسكري العربي ومبادؤها السوقية والتعبوية على يد المؤرخين والباحثين من المستشرقين الذين لم يقدروها حق قدرها ولم يولوها متعمدين ما تستحقه من اهتمام مقتصرين في بحوثهم ودراساتهم على اعتبار الغرب المصدر الاول والاساس لكل فكر وابداع عسكري .

ان معارك العرب وحروبهـم في اي مـن اوجههـا الداخلية او الخارجية الدفاعية او الهجومية ، ليست مجرد حروب او معارك مجموعات قبلية يتملكها هاجس الغزو او يحفزها عامل الدين وتقودها العمية والحماسة العقائدية على حد ادعاء بعض المستشرقين ، فهي تخفي وراءها معرفة عميقة باصول الحرب ومبادئها جرى اختبارها ووضعها على محك التجربة العملية فاثبتت بالدليل القاطع ان العرب امـة محاربة تمتلك عقيدتها العسكرية الخاصة ولها معارفها ومبادؤها السوقية والتعبوية المتسمة بالتطور والابداع .

واستجابة لدعوة السيد الرئيس القائد (حفظه الله) لاعادة كتابة التاريخ وقراءته مجدداً بعمق وتاني ، وفي اطار السعي لابراز هـذا الجانب الابداعي في تاريخ الامة وقدراتها ، والقاء الضوء عليه تأتي هذه السلسلة من الدراسـات التاريخية حول الفكر العسكري العربي في محاولة لابراز وايضاح الطابع النظامي للحروب التي خاضها العـرب ومجموعة قواعدهـا ومبادئها وسوقها وتعبيتها المستمدة من العقيدة العسكرية العربية ، التي لم تكن منحة منحها لهم احد ، او نتاجاً لآخرين اغتصبوه منهـم قهرا ، بل انها نتاج فكرهـم الخلاق ووليد معارفهم المتراكمة وخلاصة تجاربهم الخاصة والعامة معاً .

وقد جاءت هذه الدراسات كجزء من نشاطات مركز البحوث والمعلومات الذي عقد بمناسبة ذكرى ميلاد السيد الرئيس القائـد (حفظه الله) وتحت شعار ((العراقيون يقاتلون بروح الامة وتاريخها)) ندوة (الفكر العسكري العربي) التي جاءت بحوثها ودراساتهـا لتؤكد ان صمود العراقيين وانتصـاراتهم على العدوان الايراني عبر سنوات الحـرب ماهو الا نتيجة للاقتدار العراقي الذي يأتي كمحصلة طبيعية للعديد من العوامـل التي يأتي في مقدمتهـا كفاءة القيادة وعبقريتهـا واستلهامها لروح التجربة التاريخيـة ودروسـها ولكونها امتداد واستمرار للقيادات العظيمة عبر تاريخ الامة العربية بما يثبت ان للعرب فكرهم وعقيدتهم العسكرية الخلاقة النابعة من دراسة وخبرة عميقة وتجربة وممارسة مبدعة ، الامر الذي يؤكد ان الفكر الذي يقود معارك العرب في القادسية الثانية ويخطط لها ويديرها ينهل من معين الفكر العسكري العربي الثر ويتواصل معه صعوداً الى صياغة للعقيدة القتالية العراقية العربية .

من هنا تأتي هذه السلسلة من الدراسات التي اعدها برعاية (مركز البحوث والمعلومات) وبتكليف منه عدد من الاساتذة والباحثين المتخصصين في محاولة جادة لارتياد هذا المضمار واستشراف جوانبه المهمة ، والتي تمثل مساهمة اصيلة لخدمة الفكر العربي والفكر العسكري منه خاصة وتأصيلا للجهد الفكري المبدع والخلاق الذي يدير معارك القادسية الثانية ويصنع اول الانتصارات العربية في العصر الحديث .

مركز البحوث والمعلومات

مقدمـــة

لدراسة تاريخ الفكر العسكري اهمية غير عادية بين سائر انـــواع الكتابة التاريخية ، بالنظر الى ارتباط هذه الدراسة بجوانب عملية تطبيقية ، تمكن الباحث من الاستفادة من مادة دراسته ومنهجها عمليا ، على ارض الواقع نفسه ، وهذا ما يخرج على مهام الدراسات التاريخية الاخرى ٠

وكانت رئاسة الاركان العامة الفرنسية قد اكدت على هذه الحقيقة سنة ١٩٥٧ حين اعلنت انـه « ينبغي ان يعتبر التاريخ العسكري كعنصر ضروري وخصب ، لا في الثقافة العامة فحسب ، بل في الثقافة المهنية للضباط ايضا ، وقد شكل معظم القادة الذين كانوا رمزا للعسكرية شخصهم وحكمهم بتأمـل الوقائع التاريخية ويترتب على هذا التعليم استثمار الوقائع الموضوعة ضمن اطارها الحقيقي ، وينبغي عليـه ان يبرز الطابع التطوري للتنظيم العسكري وبسيكولوجية القائد والمقاتل عبر المراحل التاريخية الكبرى » ٠

ولم تكن هذه الدعوة الا استمرار لجهود مكثفة قام بها عسكريون مؤرخون ، ومؤرخون هواة للفن العسكري ، منذ قرن أو يزيد ، بهدف دراسة جوانب التاريخ العسكري وتنظير التجارب المتخلفة عنه بخاصة ٠ وعلى الرغم من الاهتمام المتزايد الذي يلقاه هذا النوع من التواريخ الان ، ووجود هيئات ومؤسسات علمية متخصصة في مجالاته ، فانه ما زال في وطننا العربي رهين جهود فردية محدودة ، قام بها بعض الهواة من العسكريين وغيرهم ، اضافة الى عدد من البحوث المقدمة الى كليات الاركان ، منذ مدة لا تزيد على عقدين من

السنين • ورغم زيادة هذه الجهود ، فانها لاتسد ــ بأية حال ــ الحاجة الماسة الى دراسة التاريخ العسكري العربي بشكل علمي معاصر •

ولعل من المثير للدهشة حقا ان امتنا العربية التي استطاعت ان تحقق في وقت خاطف اعظم الانتصارات العسكرية على اقوى دول العالم ابان العصر الوسيط ، وان تسحق جيوش مدربة هائلة العدد والعدة ، وتبرهن على خطل نظريات عسكرية سائدة ، لم تفز من جهود مؤرخي الستراتيجية (علم النظرية العسكرية) بأي اهتمام يتناسب مع عظم ما قامت به في هذا المجال • وفي الوقت الذي يعكف فيه مؤرخون عسكريون اوربيون على دراسة اعمال عسكرية قديمة ، كحروب هانيبال ، والحروب الايونية والرومانية ، وقادة هم ــ دونما شك ــ من الصف الثاني او الثالث ، وتحليل خططهم الستراتيجية والتكتكية ، نراهم يتغافلون ، بصمت بالغ ، عن دراسة اعمال عسكرية مهمة لقادة عرب كبار غيروا وجه التاريخ ، وحققوا أكبر الانتصارات في معارك حاسمة ، أمثال خالد وسعد وقتيبة بن مسلم وعقبة بن نافع وابي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ، والقعقاع ، وعمرو بن العاص ، والزبير بن العوام وعبدالله بن حذافة وعبادة بن الصامت وطارق بن زياد ويوسف الفهري وعبدالرحمن الغافقي واسد بن الفرات وغيرهم • رغم ارتباط اسم كل واحد من اولئك القادة باسم معركة ضخمة ، أو مواقع عديدة متصلة ، نتج عنها تحرير صقع شاسع ، أو تدمير جيش كاسح ، أو هزيمة قائد محنك • وبهذا الموقف غير المنصف علميا ، جعلوا من التاريخ العسكري تاريخا اوروبيا بحتا ، ومن علم الستراتيجية نتاجا غربيا خالصا • ونحن نعجب حين نجد مؤرخا عسكريا ومنظرا مشهورا ، هو ليدل هارت ، البريطاني الجنسية ، لا يذكر ــ طوال دراسته المفصلة عن تاريخ الستراتيجية في العالم ، اية كلمة عن الاضافة العربية الى هذا العلم الحيوي ، بل أننا نجده يقفز عند عرضه لهذا التاريخ من القرن السادس الى القرن الحادي عشر للميلاد ، مسقطا من تاريخ الفن العسكري ، نحو خمسة قرون او اكثر ، لا

لسبب سوى لان هذه القرون تمثل عصر التفوق العسكري العربي في العالم، وتقدم النظرية والمؤسسات والتقنية العسكرية بشكل فاق جميع ما عرفته اوروبا في ذلك العصر، ولم تلحق به الا في العصور التالية .

ليست صدفة اذن ان يغفل مؤرخون عسكريون بارزون، امثال فيلكس جلبرت، وأومان، وهنري جورلاك، وديلبروك، وايريك موريز، وغيرهم، مجرد الاشارة الى تأثير حروب التحرير العربية الاسلامية والفتوح الكبرى في المغرب والمشرق على الفن العسكري الاوروبي والعالمي، وان يسقطوا من دراساتهم الخطط العسكرية المتكاملة، والضبط المتقن، واجهزة الخدمات الفعالة، التي عرفتها جيوش العرب في العصور الوسطى . ولقد أصبح من المؤكد الان ان البارود والمنجنيق وهما الاساس الذي قامت عليه صناعة المدافع الحديثة، هما من نتاج العقل العربي، وان الفروسية التي هي ابرز سمات العصور الوسطى الاوروبيـة لم تكن الا من اثار اسـاليب العرب وتقاليدهم القتالية، ومع ذلك فان احدا من مؤرخي العلم العسكري لم يتعرض الى هذه الحقيقة الا نادراً، ولم يعرها ما تستحقه من اهتمام ودرس .

ان مجالات التاريخ العسـكري العربي مـا زالت تنتظر الباحثين مـن المؤرخين العسكريين العرب، ومن المؤكد ان دراسة هذا التاريخ وتحليل مكامن الابداع فيه ستبقى مهمة المختصين من ابناء هذه الامة المجاهدة، وان انصاف هذا الجانب من تراثنا القومي هو من اولى واجباتهم العلمية .

ان مئات من الحروب والمعارك المشرفة التي خاضتها الامةالعربية لما تزل في حاجة الى تحليل ودرس، وان مئات من المخطوطات العربية الباحثة في العلوم العسكرية والمنتشرة في خزائن كتب العالم ما تزال تنتظر من يلقي عليها الضوء، دراسة وتحقيقا، ليكشف صفحة مشرفة من صفحات تاريخنا القومي المجيد .

ومعركة « عين جالوت » التي خاضها العرب ضد جحافل المغول سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، تعد واحدة من أبرز المعارك الحاسمة في تاريخهم، فلقد نتج عنها تحرير بلاد الشام من السيطرة المغولية، واعادة توحيدها بمصر في

دولة واحدة ، كما كانتا في أغلب حقب التاريخ ، وصد المغول عن التقدم غربا باتجاه شمالي افريقيا ، ومن ثم انقاذ الحضارة العربية الاسلامية في هذه القارة من العبث والتخريب . ومن ناحية أخرى فأن تتائج المعركة أقرت وضع مصر بوصفها الاقليم القلب لما تبقى من الوطن العربي والعالم الاسلامي آنذاك ، فانتقلت اليها الخلافة العباسية رمزا لانتقال مركز الثقل السياسي والحضاري اليها ، ولتحملها مسؤولية الحفاظ على تراث الامة العربية المهدد . وكانت المعركة ايضا ، الدفقة التي نشطت هذا القلب المعطاء ، فسرعان ما صفى الجيش المصري الاحتلال الصليبي من بلاد الشام ، ومن بعض قواعده في البحر المتوسط ، منهيا بذلك حالة اليأس والقنوط التي اصابت الوطن العربي أثر سقوط الخلافة العباسية ببغداد .

وعلى الرغم من أهمية هذه المعركة وخطورة ابعادها ونتائجها فان ما وصلنا عنها من نصوص تاريخية جاء متسما بالقلة ، والتضارب ، والابتسار ، على نحو ضيع على الباحث فرصة التعرف على الفكر العسكري التي خطط لها ، وادارها ، ووصل بها الى غايتها ، وهي النصر الكامل .

لذا ، توجب جمع هذه النصوص المفرقة ، وتقويمها تقويما صحيحا بحسب منهج البحث التاريخي ثم الموازنة بينهما وتحليل معلوماتها تحليلا عسكريا ، بهدف استيضاح الصورة التي جرت عليها فعلا ، وهو ـ في الواقع ـ ما حاولنا ان نقوم به في هذه الدراسة .

وفضلا عن ذلك ، فأننا جمعنا أهم الاصول التاريخية التي تركها لنا المؤرخون القدامى عن هذه المعركة ، ومنها ما هو مخطوط لم ير لنور النشر سبيلا بعد ، فرتبناها بحسب السياق الزمني ، ونشرناها في اخر البحث ، خدمة للباحث ، وتسهيلا لمن يقوم بأية دراسة مقبلة عن الموضوع نفسه ، والله من وراء القصد .

الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف
بغداد ١٩٨٦/٥/٩

أنـا إن قَـدَّرَ الالـه مماتـي لاترى الشَّرق يرفعُ الرأسَ بعدي

مـا رمانـي رامٍ وراح سـليماً من قـديمٍ عنايةُ الله جُنْـدي

كم بَغَتَ دولةٌ علـي وجارَتْ ثم زالتْ وتلك عُقْبى التعـدّي

(حافظ ابراهيم : مصر تتحدث عن نفسها ديوان ٢/٩٠)

الموقف العام للمغـول :

١ ـ كان احتلال مصر يمثل اخر أهداف الخطة السوقية العامة للمغول ، والتي تم وضعها ، أو أقرارها ، في أثناء انعقاد مجلس البلاط الامبراطوري المغولي (القورلتاي) في قراقور م العاصمة في اواسط اسيا ، نحو سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م أو سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م ، اذ كلف خان المغول الاعظم منكو خان اخاه هولاكو بالتقدم غربا لاحتلال :

أ ـ غرب ايران . اذ كان شرقها قد احتل فعلا .

ب ـ العـــراق .

جـ ـ بلاد الروم (سلاجقة الروم في شرقي الاناضول) .

د ـ بلاد الارمن (مملكة ارمينية الصغرى في جنوبي الاناضول) .

هـ ـ مصر حتى اقاصيها[١] .

وعلى الرغم من عدم وجود معلومات يركن اليها حول تقدير حجم القوات المغولية المسلحة التي تقدمت بقيادة هولاكو ، الا انه من الواضح انها كانت كبيرة جدا بالقياس الى جيوش ذلك العصر ، حتى وصفت بانها (كالنمـــل

(١) الهمداني ، رشيد الدين : جامع التواريخ الترجمة العربية . القاهرة . المجلد ٢ القسم ١ ص ٢٣٤ .

والجراد) وزاد من فاعلية هذه القوات ، ما الحق بها من خدمات ادارية فائقة ، وفرق من اصحاب المجانيق وزراقات النفط والمهندسين العسكريين المختصين بنصب الجسور وردم الخنادق وبناء الابراج . وكان مألوفا ان تضاف الى الجيوش المغولية كلما تقدمت في سيرها ، اضافات جسيمة من الجند من قوات الدول والمدن المغلوبة .

وفي خلال السنين القليلة التالية ، تم تنفيذ معظم اهداف الخطة فاحتلت الهضبة الايرانية بأكملها ، وأزيل عدد من الدول والقرى الحاجزة ، أهمها دولة خوارزم مشاه العسكرية ، وانطلقت كتائب المغول لتحاصر او تخرب ، او تشيع الاضطراب في الاقل ، في مدن العراق الشرقية ، دون ان تلقى من الاستعدادات السياسية والعسكرية ما يكافيء خطرها وخطط قادتها .

وأثر معركة دجيل الحاسمة في ٩ ـ ١٠ محرم ٦٥٦هـ / ١٣-١٤ كانون الثاني ١٢٥٨م تم احتلال بغداد عاصمة الخلافة العباسية ورمز الاستقلال السياسي للعراق ، فغدا واضحا لهولاكو ان الموقف السياسي والعسكري بات في صالحه تماما ، وانه لم تعد ثمة عقبات يمكن ان تحول بين قواته وبين انجاز ما تبقى من الخطة الموكل بتنفيذها . وكان خضوع حاكم الموصل واخضاع مدن العراق الشمالية ، وبخاصة الواقعة منها على الفرات ، وقبول سلاجقة الروم في الانضول بسيادة المغول على بلادهم ، وتعاون الارمن معهم ، يعني ايجاد قواعد حركات وتموين مناسبة ومحمية ، لاي تقدم سوقي باتجاه بلاد الشام ، الاقليم الشمالي لدولة المماليك ومفتاح مصر .

٣ ـ وساعدت الحالة المعنوية المتردية للحكام المحليين في بلاد الشام وروح اليأس والاضطراب السائدة على مضي هولاكو في تنفيذ خطته فأرسل في ربيع ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م جيشا ليؤمن طريق العراق ـ الجزيرة بلاد الشام ،وبعد ان عاث الجيش في نواحي ذلك الطريق ،عاد هولاكو فقاد بنفسه

جيشا كبيرا ، وصف بأنه (جيش كامل) أخضع به ديار بكر وحران والبيرة فحلب وحماة وحمص ودمشق[٢] (الخريطة رقم ١) ٠

٤ ـ وفي وسعنا ان تتصور ضخامة هذا الجيش اذا ما تذكرنا ان هدف حركات هولاكو العسكرية لم يكن يقتصر على احتلال بلاد الشام وحدها ـ على كثرة مدنها ومناعة قلاعها ـ وانما غزو مصر ، الدولة العسكرية الاولى في المشرق العربي آنذاك ، واخضاعها الى احتلال مغولي مباشر ٠

ومن دمشق شرع المغول بالاغارة على مدن فلسطين ، ناشرين الرعب والدمار فيها ، فوصلت كتائبهم الى الصلت[٣] وبركة زيزا[٤] والخليل وبيت جبريل[٥] ، بل وصلوا في احدى غاراتهم الى غـزة والكرك[٦] فكانت تلك الحركات بمثابة جس لقوة الدولة المملوكية ، ومدى رد فعلها ازاء فقدانهـا اقليمها الشمالي (الخريطة رقم ٢) ٠

---

(٢) رشيد الدين ٣٠٦ وكتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي ، بغداد ١٣٥١ ، ص ٣٤٠ والمقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ج١ ق٢ ص ٤٣٤ وابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، القاهرة ، ٥٤/٧ وابن حبيب ، الحسن بن عمر : درة الاسلاك في دولة الاتراك ، مخطوطة السليمانية برقم ٨٤٣ ، حوادث ٦٥٧ ويذكر ابن العبري في تاريخه السرياني ، بيروت ١٩٥٦ ، ان عدد افراده بلغ ٤٠٠ر٠٠٠

(٣) الصلت : بلدة تقابل اريحا على غور الاردن جنوبي عجلون (ابو الفداء : تقويم البلدان ٠ باريس ، ١٨٤٠ ، ص ٢٤٥) ٠

(٤) بركة زيزا : بركة عظيمة عند قرية زيزاء ، من قرى البلقاء (ياقوت : معجم البلدان مادة زيزاء) والبلقاء كورة من اعمال دمشق ، بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان (المصدر نفسه ٠ مادة البلقاء) ٠

(٥) بيت جبريل ٠ ويقال جبرين : بليدة بين بيت المقدس وغزة ، وهي اقرب الى الاخيرة منهما (ياقوت : معجم البلدان ٧٧٦/١ ومراصد الاطلاع ١٨٥/١)

(٦) اليونيني ، قطب الدين : ذيل مرآة الزمان (حيدر آباد ، ١٣٧٤) ٣٥١/١ والكتبي ، ابن شاكر : عيون التواريخ (بغداد ، ١٩٨٠) ٢٢٤/٢٠ ٠

وازاء عدم وجود رد فعل جاد ، بدا لهولاكو أن أمر احتلال مصر اضحى قاب قوسين أو أدنى ، وشرع الجيش المغولي بالاستعداد للتقدم نحوها ، وافرز هولاكو طليعة جيشه بقيادة الامير بايدر (وربما كتبت : بيدرا) باتجاه جنوب فلسطين ، فاحتل هذا غزة وأستمكن بها(٧) .

وفي تلك الاثناء ، وصلت الانباء بموت منكو خان ، فأضطر هولاكو الى الانسحاب بجزء من جيشه ، والتوجه بسرعة الى قراقورم للمطالبة بحقوق الوراثة ، تاركا في بلاد الشام قائده وصهره كتبغا ، على رأس القسم المتبقي من الجيش ، وعددا من الحاميات الموزعة في العديد من المدن ، وبخاصة دمشق وحلب وحمص وحماة وماردين وميافارقين وغيرها .

وليس من الواضح ما اذا كان هولاكو قد فوض قائده كتبغا ان يتقدم بقواته لاحتلال مصر في اثناء غيابه او انه فضل ان يحتلها هو ، وعلى أية حال فان رشيد الدين الهمداني(٨) يذكر انه تركه (للمحافظة على الشام) ولم يشر الى أي أمر صدر اليه بشأن مصير مصر .

الموقف العام للمصريين :

٦ ـ عندما قررت القيادة المغولية العليا وضع احتلال مصر ضمن اهدافها السوقية العامة ، كانت مصر تمر بمرحلة انتقالية حاسمة في تاريخها السياسي والعسكرية ، فلقد انقرضت حكومة الايوبيين المركزية في القاهرة ، وان كانت فروع لها ما تزال تتولى السلطة في بلاد الشام . لذا فقد كانت علاقات تلك الفروع بالسلطة الجديدة في القاهرة لا تخلو من حساسية وتعقيد فهي لا تحس بالانتماء الفعلي اليها ، كما كانت الحال في عهد حكومة الايوبيين ، ولكنها ـ من الجهة الاخرى ـ ظلت تشعر بأنها جزء من دولة واحدة مركزها القاهرة .

---

(٧) رشيد الدين ٣١٣ .

(٨) المصدر نفسه ٣٠٨ .

وهو الشعور الذي رسخته التقاليد السياسية الثابتة في المنطقة ، واكده الايوبيون انفسهم في عهد قوتهم وازدهارهم •

وسرعان ما ورثت هذه الحكومة مسؤولية الدفاع عن اقليمي مصر والشام من اعتداءات الامارات والقوى الصليبية المنتشرة على سواحل الشام، وكان الجهد العسكري المصري موجها بشكل رئيس ضد هذه الامارات اذ لم يكن متوقعا ان تواجه مصر غزوا اخر يأتي من الشرق حتى احتلال القوات المغولية العراق وانفتاح طرق الشام الداخلية امامها •

٧ – وعلى الرغم من حداثة تشكيل الحكومة العسكرية ، فأن المماليك انفسهم كانوا قد عانوا من الحياة السياسية ، واحتكوا بمشاكل مصر الاقتصادية ، وادركوا طبيعة ما يتهدد البلاد من أخطار ، بحكم خدمتهم الفعالة في جيش الايوبيين ، وفضلا عن ذلك ، فأن خبرات ومهارات عسكرية واسعة تجمعت القاهرة في تلك السنين نتيجة وصول عدد كبير من القادة المحنكين والجنود المحترفين ، من أرجاء العالم الاسلامي اليها • وكان اولئك القادة يرون في مصر خطهم الدفاعي الاخير بعد انهيار جيوشهم ودفاعاتهم جميعا ازاء التقدم المغولي ، وشهدت السنة التي اعقبت احتلال العراق ظهور بعض القادة اللامعين ، الذين اخذوا يتولون الحكم على التعاقب ، كان ابرزهم المظفر قطز ، وركن الدين بيبرس ، اللذين اقترنت باسميهما عملية تحرير بلاد الشام من الاحتلال المغولي •

قرار احتلال مصر :

٨ – أعلن هولاكو عن رغبته في غزو مصر واحتلالها اذ ارسل الى سلطانها قطز رسالة صيغت بكل ما تحمل الالفاظ من معاني الغطرسة والوعيد ، طالبا منه الاستسلام الكامل ، وقبول السيادة المغولية على بلاده ، بحجة ان ذلك تنفيذ للارادة الالهية(٩) •

---

(٩) انظر نص الرسالة في المقريزي ، أحمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك (القاهرة ١٩٣٦) ج١ ق٢ ص ٤٢ •

ولقد استند المغول ، في موقفهم هذا ، الى العوامل الاتية :ـ

أ ـ وجود قواعد غنية وقوية تحمي ظهر القوات المغولية المتقدمة غربا تتمثل ببعض مدن العراق والجزيرة المحتلة ، التي تربطها بمدن الشام ، وخاصة فلسطين ، طرق مواصلات جيدة •

ب ـ وجود امارات صليبية قوية ومعادية للوجود العربي الاسلامي في المنطقة ، وتشارك المغول رغبتهم في ضرب دولة المماليك والقضاء عليها نهائيا ، وأهمها واكبرها خطرا ، امارة عكا على ساحل البحر المتوسط •

جـ ـ وجود بعض القيادات المحلية التي تورطت نتيجة لعوامل مختلفة ، في الاذعان لارادة المحتلين ، ومن الممكن الاستفادة من أهميتها السياسية وما قدمته من مساندة عسكرية[١٠] •

د ـ وجود اقليات متعاونة مع المغول ، او لها رصيد سابق في معاداة العرب المسلمين ، كالنصيرية في نواحي اللاذقية ، والارمن والكرج في اعلى بلاد الشام ، يمكن الاستفادة من قواها العسكرية ، وهو ما حدث بالفعل في اثناء احتلال دمشق مثلا •

قبول المعركـــة :

٩ ـ عند وصول الرسالة الى بلاد المماليك في القاهرة ، دعا قطز الـــى عقد اجتماع عاجل للقيادة العسكرية التي تضم كبار قادة المماليك للتداول بشأن ما يمكن اتخاذه من رد مناسب ، وقد كشف الاجتماع عن وجود اتجاهات مختلفة هي :

---

(١٠) من تلك القيادات : الملك السعيد بن الملك العزيز عثمان ، حاكم البيرة وبانياس وقلعة الصبيبة ، وقد اعدمه السلطان قطز في عين جالوت •

أ - الانسحاب من مصر الى قطر اخر (لم يذكر اسمه)[11] .

ب - عدم التعرض ، والدفاع عن مصر عند دخول الجيش المغولي حدودها الاقليمية[12] .

جـ - المباداة بالتعرض ، على اساس ان الدفاع عن مصر لا يكون الا في خارجها اي في فلسطين بالذات ، بوصفها مفتاح مصر وبوابتها الوحيدة في الشرق . ولقد نجح قطز بتحريض وتشجيع من قائده بيبرس في تغليب الخيار الاخير ، واتخاذ القرار بقبول المعركة . وبعد انتهاء الاجتماع ، امر السلطان قطز باعدام الرسل الذين حملوا رسالة هولاكو اليه واسترقاق أحدهم[13] ، وبذلك أعلنت القيادة المصرية رغبتها في قبول المعركة الى اخر مدى .

ولقد أستندت القيادة المصرية في موقفها هذا الى ما يأتي :-

أ - وجود قوات عسكرية كبيرة في مصر . يمكن - أن احسنت قيادتها وتعبئتها عسكريا ومعنويا - ان تكون بمستوى يكفل لها تحقيق النصر .

ب - معرفة القيادة المصرية التامة بالطرق الداخلية لبلاد الشام ، وهي التي يمكن ان يسلكها جيش المغول في أي تقدم مقبل ، وفهمها العميق لطبوغرافية هذا الاقليم وخصائصه المختلفة ، ويمكن ان نذكر هنا ان العديد

---

(١١) يتضح ذلك من ادخال قطز خيار (الجلاء عن الوطن) ضمن قائمة الخيارات التي قام بتفنيدها على اساس ان لا مكان يمكن اللجوء اليه . رشيد الدين ٣١٢ .

(١٢) يقول ابن تغري بردي انهم (اجمعوا على حفظ مصر لا غير) النجوم الزاهرة ٧/٧٨ .

(١٣) تشير الرواية المغولية (رشيد الدين ٣١٢) الى ان عدد اولئك الرسل هو اربعون ، بينما تشير الرواية المصرية الى ان عددهم خمسة ، وسط واحد بسوق الخيل تحت قلعة الجبل ، ووسط اخر بظاهر باب زويلة ، ووسط الثالث ظاهر باب النصر ، ووسط الرابع بالريدانية ، أما الخامس فقد ابقي عليه ، وضم الى جملة مماليك السلطان . المقريزي ،احمد بن علي : السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ ق٢ ص ٢٤٩ .

من القادة والجنود المصريين سبق لهم ان خاضوا معارك مهمة في فلسطين في أواخر حكم الايوبيين ، أي قبل الاحتلال المغولي بمدة قصيرة .

جـ - وجود استخبار مصري قوي في هذا الاقليم ، عماده القبائل العربية الموجودة فيها ، وبخاصة في فلسطين ، وعدد من الزعماء والافراد الموالين لمصر والذين يعدون أنفسهم ما زالوا مرتبطين اداريا وروحيا بسلطتها المركزية على الرغم من تعرض اقليمهم الى الاحتلال .

د - انحياز السكان من أبناء المدن واهل القرى الى الجانب المصري ، ونفورهم الشديد من الاحتلال المغولي وادواتـه .

هـ - قصر خطوط الامداد المصري نسبيا ، وقرب الجيش - عند وجوده في فلسطين - من مناطق تحشده في الريدانية (قرب القاهرة) والصالحية (في شرقها) .

و - عدم وجود خيار امام القيادة المصرية سوى القتال ، اذ لم تكن ثمة قوى خارجـية يمكن ان تمد اليها يد المساعدة العسكرية ، ولذا فان عليها تحقيق اقصى النتائج اعتمادا على قواها الذاتية فحسب .

الاستحضارات المصريـــة :

١١- التعبئة النفسية :

أ - أولت القيادة المصرية اهتماما واسعا لهذا الجانب ، نظرا لحالــة التداعي العام الذي اصاب معنويات العسكريين والسكان عامة اثر وصول

---

(١٤) يصف ابن تغردي بردي حالة الانهيار المعنوي الذي اصاب الناس آنذاك ، (فالقلوب قد ايست من النصرة على التتار) مما ادى الى هرب جماعات الى المغـرب والحجاز واليمن (والباقون بقوا في وجـل عظيم وخوف شـديد يتوقعون دخول العـدو واخذ البلاد) (النجوم الزاهرة ٧/٧٨) وهـذه النصوص تدل على مقدار الجهد الذي بذله قطز والمخلصون من اعوانـه في التعبئة المعنوية للناس ، من عسكريين ومدنيين ، على حد سواء .

انباء اكتساح المغول للجيوش الاسلامية في المشرق ، واحتلالهم العراق وبلاد الشام • وكانت حالة من اليأس قد تسربت الى نفوس القادة الكبار انفسهم ، فغدوا عاجزين عن اتخاذ قرار محدد بشأن الخطر الداهم[١٤] ، وبما ان معظم الجيش المصري كان يتألف من كتائب ، كل منها بامرة قائد يتولى تدريبهم واطعامهم واسكانهم بوصفه مالكهم ، فقد كان لزاما علـــى السلطان قطز ان يحصل على ولاء اولئك القادة ، ثم موافقتهم على مبدأ قبول المعركة •

ب ــ قاوم قطز الاتجاهات الانهزامية التي تمثلت في مواقف معظم القادة الذين حضروا مجلس الحرب المنعقد في ١٢ شعبان ٦٥٨هـ / ٢٤ تموز ١٢٦٠م وكان اعدامه للرسل في مساء ذلك اليوم ، يمثل حركة بارعة لتقوية الجبهـة الداخلية ، اذ قطعت سبيل التراجع على القادة المترددين ، ووضعتهم امام أمر واقع لا مفر من مواجهته ، واظهرت جدية القيادة على سلوك الطريق العسكري لحل الازمة وانقاذ الوطن ، كما ساهمت من ناحية اخرى في تبديد هيبة المغول في أعين الشـــعب •

جـ ــ وكان لخطبه الحماسية اثرها في رفع الروح المعنوية • من ذلـك قولـه للامراء المترددين (يا أمراء المسـلمين ، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وانتم للغزاة كارهون ، وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبني ، ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيتـه ، فان الله مطلع عليه ، وخطيئـة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين)[١٥] •

وكان يلتقى احيانا بالامراء المخلصين لقضية الحرب والقتال ، فيدبر معهم خطة الاجتماع العام بالامراء المترددين ، حتى اذا عقد الاجتماع وتحدث اليهم في امر القتال ، كان التأييد والحماس من قبل انصاره وامرائـه سـلاحا ادبيا للضغط على هؤلاء المترددين وكسبهم لصف المعركة والقتال[١٦] •

---

(١٥) المقريزي : السلوك ج١ ق٢ ص ٤٢٩
(١٦) عمارة ، محمد : معارك العرب ضد الغزاة • بيروت ١٩٧٥ • ص ١٢٩

وفي احيان أخرى ، كان يخرج ليلا في عسكره ، ويصيح في الامراء قائلا (انا خارج القى التتار بنفسي)[١٧] حتى جاء اليوم الذي جمعهم فيه (وحضهم على قتال التتر ، وذكرهم بما وقع بأهل الاقاليم من القتل والسبي والحريق ، وخوفهم من وقوع مثل ذلك ، وحثهم على استنقاذ الشام من التتر ونصر الاسلام والمسلمين ، وحذرهم عقوبة الله ، فضجوا بالبكاء وتحالفوا على الاجتهاد في قتال التتر ودفعهم عن البلاد) .

د ــ واضافة الى خطب قطز في القادة والامرين ، توجه الى الشعب مباشرة ، اذ ارسل المنادين يطوفون انحاء العاصمة والاقاليم يدعون الناس الى (الخروج الى الجهاد في سبيل الله ، ونصرة لدين رسول الله صلى الله عليه وسلم)[١٨] فيذكون بذلك روح القتال ، والتصدي للعدو ، ويغرسون الثقة بامكان النصر .

التعبئة الاقتصاديــــة :

أ ــ تم تحويل جزء كبير من موارد الدولة لصالح المجهود الحربي ، ففرضت ضرائب جديدة ، ذات طابع تصاعدي ، على فئات الشعب ، واستوفيت ضرائب تقليدية أخرى ، كالزكاة مثلا ، بصفة معجلة . كما استوفى بدل نقدي عن كل ذكر لم يشارك في القتال ، بل عن النساء ايضا ، من سكان العاصمة[١٩] فبلغ جملة ما جمعه من الاموال ، من اجل المعركة ، نحو ٦٠٠٠٠٠ر٦٠٠ دينار وهو

(١٧) المقريزي : المصدر السابق والصفحة .

(١٨) نفس المصدر ص ٤٣٠

(١٩) يشير ابن اياس الحنفي (بدائع الزهور في وقائع الدهور) بولاق ١٣١١هـ ٩٦/١ الى بعض تفاصيل تلك الموارد . وهي : ١٢/١ من اجرة الاملاك والاوقاف ١٢/١ من اجرة الغيطان والسواقي ، ٤٠/١ زكاة معجلة من الناس والتجار ٣/١ من اموال الترك الاهلية ، أي الاتراك المتوطنين في مصر . وكانوا يمثلون الطبقة الثرية آنذاك ، ١ دينار واحد بدل نقدي عن كل رجل وامرأة في العاصمة .

مبلغ ضخم باعتبار ذلك الوقت ، انفق جميعه على (العسكر والعربان)[٢٠] أي على تدريبهم واعدادهم وتزويدهم بالاسلحة والمهمات وشراء الخيل والابل والبغال وما يتصل بذلك من شؤون ٠

ب ـ فرضت اجراءات تقشفية ضرورية ، لتقليل نفقات الدولة في الامور السلمية وتقليص مظاهر الترف لدى الفئات الثرية ، ولاسيما بين القادة والامرين[٢١] ٠

التعبئة العسكرية :

كان اعلان القيادة المصرية حالة النفير العام[٢٢] يمثل ـ في جوهر الامر ـ الرد المباشر على شروط المغول وغطرستهم ، ولم تكن مصر قد شهدت نفيرا عاما ـ على هذا النحو ـ من قبل ، ورغم ان المصادر التاريخية تشير الى أن أعلان النفير جاء بعد قتل رسل المغول[٢٣] الا أن من الواضح ان استعدادات كهذه ، بدأت قبل ذلك بمدة غير قليلة ، وقد بدأت في الغالب عند وصول انباء احتلال دمشق الى القاهرة ، اذ يشير ابن تغري بردي الى انه حينما وصلت غارات المغول الى غزة وبلد الخليل كان (السلطان الملك المظفر قطز سلطان مصر يتهيأ للقاء التتار)[٢٤] ٠

وقد اتخذت اجراءات حازمة ضد كل من يتخلف عن الالتحاق بالخدمة من العسكريين (الاجناد) الا أننا لا نعلم ما هي الاجراءات التي اتخذت بحق

---

(٢٠) ابن اياس ٩٧/١ ٠

(٢١) في تعليمات اصدرها قطز الى صاحب حماة ، وهو في الصالحية حيث يتحشد الجيش المصري جاء ما يأتي (لا تحتفل في مد سماط ، بل اجعل كل واحد من أصحابك يفطر على قطعة لحم في صولقه (مخلاة) ، (النجوم الزاهرة ٧٨/٧) ٠

(٢٢) ابن اياس ٩٦/١ (ان الملك المظفر قطز نادى في القاهرة بأن النفير عام الى الغزو في سبيل الله) ٠

(٢٣) السلوك ج١ ق٢ ص ٤٣٠ ، ورشيد الدين م٢ ج١ ص ٣١٣ ٠

(٢٤) النجوم الزاهرة ٧٧/٧ ٠

من لم يستجب للنفير ، وان كان يفهم من قبول دفعهم البدل النقدي ، ان انضمامهم الى الجيش كان على سبيل التطوع لا الالزام . اما القبائل فقدجرى استنفارها عن طريق دعوة زعمائها وجمع كلمتهم فـ (بعث اليهم بالعطايا ، وازاح العلل « أي المظالم »)[٢٥] .

قوى الطرفين :

١٤- تثير مسألة تقدير احجام الجيوش في العصور الماضية مشكلة حقيقية للباحث في التاريخ العسكري ، وذلك لسكوت المؤرخين احيانا عن الاشارة الى أعداد الجيوش المتحاربة ، واكتفائهم بايراد اوصاف عامة مبهمة ، أو انهم يشيرون الى عدد جيش ما ، ولكنهم يغفلون عن ذكر عدد الجيش المقابل ، وتتأثر الروايات الخاصة بهذا الشأن ، بالعوامل النفسية والمعنوية لاصحابها ، فالتهويل في عدد القوات المعادية يقصد به عادة اظهار بسالة القوات الوطنية ، والتقليل من عدد الاخيرة ، يعطي تبريرا لانكسارها في معركة ما . وبالجملة فان من الصعب جدا الاطمئنان الى التقديرات المتوفرة - وهي قليلة - ويبقى للمؤرخ مجال واسع في اعادة تقويمها على ضوء المعطيات التاريخية الاخرى .

١٥- الجانب المغولي :

أ - حجم الجيش :

لا تقدم المعلومات المستقاة من الجانب المغولي اي تقدير لحجم الجيش المغولي في عين جالوت ، ولكن المؤرخ الارمني المعاصر ابن العبري[٢٦] يشير الى ان عدد افراده بلغ ١٠ر٠٠٠

(٢٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت ١٩٦٨) م٥ ق١ ص ٨٢٠ .

(٢٦) تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٩٥٨) ص ٢٨٠ .

فارس[٢٧] ، وان هذا العدد كان يقل كثيرا عن عدد افراد الجيش المصري • ونحن نشك في هذا التقدير للاسباب الاتية :ـ

اولا : ان قائد الجيش المغولي كتبغا ، كان يحمل اعلى رتبة عسكرية مغولية وهي (نوين) ، ولا تناط به الا المهمات الكبرى ، ويتلقى اوامره من هولاكو نفسه• وهو مع ذلك صديقه وصهره ، فلا يعقل ان يتولى قائد بهذه الرتبة والمنزلة قيادة جيش صغير•

ثانيا : يشير ابن العبري[٢٨] في موضع اخر الى ان العشرة الاف فارس ، هي جيش كتبغا عند دخوله بلاد الشام ومباشرته احتلالها ، وليس عند نشوب معركة عين جالوت فحسب • وهذا العدد بالغ القلة اذا ما نظرنا الى جسامة المهمة المطلوب منه اداؤها ، وهي المشاركة الفعالة مع هولاكو في احتلال العديد من المدن الشامية ، وكلها محصن ، ومنيع ، ويحتاج الى جنود كثيرة لاحتلالـــه •

ثالثا : تذكر لروايات المصرية ان كتبغا جمع كل من تفرق من التتر في بلاد الشام ، وتعني بذلك جنود الحاميات المغولية التي انيط بها أمر تثبيت سلطة الاحتلال،حماية رموزه ، وجباية الاموال بالقوة ، ولاشك في أن عددا كبيرا من المغول كانت تستوعبه تلك الحاميات نظرا لكثرة المدن الشاميـة وتفرقهـا •

---

(٢٧) استنتج باحث من هذا النص ، ان الجيش المغولي كان بأسره مكونا من صف الخيالة لان الجياد كانت أهم اسلحة الحرب لديهم ولم يشمل جيشهم عنصر المشاة (المجلة العسكرية • المجلد ٣٩ (١٩٦٢) ص ٤٠) وعدم ورود اشارة ضمن النص ، الى المشاة لا يعني انعدام وجودهم ، فمن المحقق انه يصحب الفرسان في حروبهم تابع او اتباع يساعدونهم في حمل الاسلحة، واطعام الخيل ، والعناية بها ، فضلا عن الاعمال القتالية الاخرى •

(٢٨) مختصر الدول ص ٢٨٠ •

رابعا : ان غلبة الطابع العسكري على دولة المماليك الحاكمة في بلاد الشام ، وحيازتها تراث الايوبيين العسكري الحافل ، وتجارب الحروب ضد الصليبيين ، يجعل من غير الممكن ان يحتل كتبغا بلاد الشام كلها بعشرة الاف جندي فحسب ، ثم يتوجه الى مصر ، وهي قاعدة الدولة وفيها جيوشها ، ليحتلها بما تبقى من هذا العدد .

خامسا : يذكر ابن تغري بردي الاتابكي ان كتبغا (جمع من في الشام من التتار وغيرهم)[٢٩] مما يشير الى وجود قوات غير مغولية تحارب الى جانب الجيش المغولي . ومع ان أحدا من المؤرخين العرب لم ينوه بحقيقة هذه القوات ، الا اننا نعلم ــ بناء على المعلومات التي تقدمها المصادر الصليبية المعاصرة ــ ان كتائب من الارمن والكرج كانت بصحبة جيش المغول في معركة عين جالوت[٣٠] . فلقد رأى هؤلاء في المعركة فرصة للانتقام من الجيش المصري الذي سبق ان نكل بمن تعاون منهم مع الصليبيين .

سادسا : ان أستخدام القيادة المصرية مبدأ التعرض غير المباشر ، والمناورة التي اجرتها ضد الجيش المغولي ، يشير الى نوع من تكافؤ قوى الطرفين ، وهذا ينفي ان تكون القيادة المصرية قد استصغرت جيش كتبغا . وبما ان الجيش المصري الذي خرج من مصر محاربا كان يمثل اقصى ما يمكن ان تعبئه

---

(٢٩) النجوم الزاهرة ٧/٧٧

(٣٠) رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العريني، بيروت ١٩٦٩ ، ٣/٥٣٦ ومع ان ابن العبري ارمني ومعاصر للاحداث الا انه لم ينوه بوجود قوات من بني قومه الى جانب المغول ، ويبدو لنا ان في الامر تقليلا متعمدا لحجم الجيش المغولي من أجل تبرير خسارته فيما بعد ، وتهوين أمر ما احرزه الجيش المصري من انتصارات . وهو فرض يبدو معقولا اذا علمنا بولاء ابن العبري الارمني للمغول وتعاونه معهم ، وما تنضح به مؤلفاته ، وخاصة تاريخه السرياني ، من روح تشفي بالعرب لما تميهم من تنكيل هولاكو وجنده .

الدولة من جند ، يصبح من المعقول القول بأن جيش المغول كان ضخما وافر العدد هو ايضا •

سابعا : ان الرتبة العسكرية لكتبغا هي (نوين) وتعني حرفيا مقدم عشرة الاف ، وربما على هذا استند ابن العبري في تقديره ، على ان هذا الرقم اصطلاحي (٣١) محض في أغلب الاحيان • فمن الممكن دائما زيادته على حسب جسامة الهدف المراد تنفيذه وكون اولئك المقاتلين من الخيالة النظاميين ، يعني وجود اعداد اضافية غير يسيرة ، من الخيالة غير النظاميين • وقد علمنا ان بعضهم كان بشكل كتائب كاملة من الارمن والكرج ومن الجنود النظاميين وهم من المشاة والرماة والفعله وحملة الاثقال التي تضم الدروع والاسلحة والارزاق • خاصة واننا نعلم ان كتبغا جمع الى خيالته قوات الحاميات المغولية في مدن الشام ، وعلى هذا الاساس ، ووفقا لتقديرات خاصة بمعارك قريبة سابقة ، يمكن القول بأن عدد افراد الجيش المغولي لم يكن يقل عن ثلاثين الفا من الخيالة والمشاة •

كان الخيالة النظاميون في جيش كتبغا ، من القوات التي افرزت بالاصل من قوات جنكيزخان ،في اواسط اسيا • ومعنى ذلك:انهالم تصل الى بلادالشام الا بعد خوضها معارك عديدة ، واختراقها اراضي واسعة متنوعة التضاريس والشعوب ، وقضاء نحو ثماني سنوات كاملة ـ في الاقل ـ في التعامل معجيوش اسلامية بما في ذلك التعرف على طرق قتالها ، وخططها ، وترتيبها • على ان لنا ان نلاحظ ان معظم تلك الحركات كان يتمثل في حصار المدن والقلاع واقتحامها لا الاشتباك في ميادين قتال فسيحة ، ومن الواضح ان دور المهندسين العسكريين والفعلة من منجنيقيين ورماة ونقابين وناصبي جسور ورادمي خنادق ، يبدو اكثر بروزا في تلك المعارك بينما يقل دورهم او يتلاشى في معارك تجري في ميادين قتال فسيحة ، ومع ذلك فقد اظهر المغول في عدد من معاركهم خبرة واسعة بفنون المناورة وبخاصة المناورة بضرب الجناح ، حيث استخدموها بنجاح في

معركة احتلال سمرقند سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠م ، وفي معركة دجيل سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ٠

جـ ـ القيـــادة :

تولى قيادة الجيش بأمر من هولاكو الامير كتبغا (وتكتب احيانا : كتبوغا ، وكيتو بوقا) وهو صهره[٣٢] ، وأحد القادة الكبار الذين صحبوا هولاكو منذ تقدمه من اواسط اسيا ، وتميز بأنه كان يتولى قيادة فرقة المقدمة دائما ، وهي أهم فرق الجيش المغولي واكثرها فعالية ، اذ تقوم بالاستطلاع ، وبمهمات تعرضية سريعة في الوقت نفسه ، وقد سبق ان قامت بحركات واسعة احتلت على اثرها خراسان ولورستان والعراق والاحواز ٠ وكان كتبغا على ميسرة جيش هولاكو يوم احتل بغداد ، وقد احتل بجيشه معظم مدن الشام ، فكفلت له هذه السيرة خبرات واسعة في سوق الجيوش ، ووضع الخطط المناسبة ، وادارة المعارك واستثمارها حتى وصف بأنه كان (خبيرا بالحروب والحصارات وافتتاح الحصون والاستيلاء على الممالك) وكان هولاكو (يثق به ولا يخالفه فيما يشير به)[٣٣] ٠

ومن القادة الاخرين الذين عملوا تحت امرة كتبغا في الشام ـ وفي معركة عين جالوت خاصة ـ بايدر وقد قاد طليعة الجيش ٠ وثمة امراء او قادة اخرون نوه بهم ابن العميد ، اذ قال في معرض كلامه عمن أسر من المغول (وجماعة كثيرة من أعيانهم)[٣٤] ٠

---

(٣١) كان جنكيز خان قد انفذ مع سنتاي نوين ٣٠٠٠٠ مقاتل عند غزوه سمرقند (ابن العبري : مختصر الدول ٢٣٤) ٠

(٣٢) ان كتبغا هو من قبيلة النايمان ، التي تزوج منها هولاكو ، وهو ـ كمعظم أفراد قبيلته نسطوري المذهب .

(٣٣) ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ٠ تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ٠ بغداد ١٩٨٠ ٠ ج٢٠ ص ٢٤٣ ٠

(٣٤) أخبار الايوبيين ص ١٧٥ ٠

د ـ السلاح

تميز الجيش المغولي باعتماده على كتائب الخيالة في مناوراته المختلفة ، وكان الجواد المغولي صغيرا في حجمه ، ولكنه يتميز عن بقية اجناس الخيل بسرعته الفائقة وصبره وصلابته الشديدة . وللجندي خمسة جياد بدل[٣٥] ، وكان الرمح ، وهو سلاح الخيالة والمشاة على حد سواء ، يتميز بالقصر بالنسبة للرماح العربية . ولم يكن على الفارس كسوة (زرد) ولا سلاح (سوى الرماح طبعا)[٣٦] . ولا تشير المصادر الى وجود مشاة ضمن الجيش المغولي ، ولكن من المفترض انهم كانوا موجودين ، اذ ترد الاشارة الى (رماة السهام) ككتلة رئيسة في الجيش ، وهم من المشاة بالطبع ، يضاف اليهم حاملو السيوف والهراوات والرماح والدبابيس وناقلو المعدات والارزاق ، ولاتوجد معلومات عن نسبة الخيالة الى المشاة .

١٦ـ الجانب المصري :

أ ـ حجم الجيش :

تسكت المصادر التاريخية ـ حتى المصرية منها ـ عن تقديم أي تقدير لحجم الجيش المصري الذي خاض معركة عين جالوت ، وتكتفي بعض الروايات بالقول بانه (ما لا يحصى)[٣٧] وانه (خلق عظيم)[٣٧أ] وليس من سبيل لتقدير حجم الجيش ، الا بدراسة ملاكاته على النحو التالي :

---

(٣٥) المهتار ، طلال عامر : التاريخ العسكري ٤٧٠ق.م ـ ١٩٤٥ . بيروت بلا . ص ١٩٢ .

(٣٦) الطقطقي ، ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية ، القاهرة بلا . ص ٦٥ وفيه نقرأ الوصف الاتي للفارس المغولي (فارس تحته فرس كأنه حمار ، وفي يده رمح كأنه المغزل ، وليس عليه كسوة ولا سلاح) .

(٣٧) ابن اياس : بدائع الزهور ٩٦/١ .

(٣٧أ) ابو شامة ، عبدالرحمن بن اسماعيل : ذيل الروضتين . القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٢٠٧ .

اولا : الجيش النظامي ويتألف من ثلاثة أقسام هي :ـ اجناد الحلقة ، وهم قلب الجيش وقوته الضاربة ويبلغ عددهم في مصر وحدها ٢٤٫٠٠٠ ، وكل ١٠٠٠ منهم بأمرة مقدم •

المماليك السلطانية ، وهم اما ينتسبون الى السلطان القائم ، او السلطان السابق ، او الى الامراء ، مقدمي الالوف ، يبلغ عددهم نحو ١٦٫٠٠٠ •

مماليك الامراء ، التابعون لامرائهم ، ويقدر عددهم بنحو ٧٫٠٠٠[٣٨] فيصل المجموع الى نحو ٥٠٫٠٠٠ من الضباط والمراتب النظاميين • على ان هذا العدد كان نظريا بالدرجة الاولى ، فان أعدادا من الجنود التابعين للامراء مقدمي الالوف ، او التابعين لامرائهم ، كانوا يستطيعون التملص من الخدمة بوسائل شتى ، وكان على السلطة ان تجد في طلبهم كلما بدأت الاستعدادات العسكرية تجري في البلاد •وقد اصدرت القيادة المصرية ، قبيل الخروج الى الحرب (لسائر الولاة بازعاج الاجناد في الخروج للسفر ، ومن وجد منهم قد اختفى يضرب المقارع)[٣٨أ] •

ثانيا : القوات القبلية ، وتتألف من القبائل العربية في مصر[٣٩] ، وبخاصة في نواحي مديريات الشرقية والغربية (الوجه البحري) وقد يصل عدد ما تقدمه الى نحو ٢٠٫٠٠٠ • وقبائل التركمان والاكراد المقيمة في مصر منذ عهد الايوبيين او اللاجئة الى مصر بعد تعرض مواطنها الاولى للاحتلال المغولي ، وقد

---

(٣٨) طرخان ، ابراهيم علي : النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى • القاهرة ، ١٩٦٨ • ص ١٤٨ ـ ١٥٨ وضومط أنطوان : الدولة المملوكية : التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري • بيروت ١٩٨٠ ، ص ٢٢ فما بعد •

(٣٨أ) المقريزي : السلوك ٤٢٩ •

(٣٩) قال ابو شامة (فخرج عساكر اهل مصر مع من انضوى اليهم من العرب وغيرهم) (ذيل الروضتين ص ٢٠٧)

بلغ عدد جماعة الشهرزورية وحدها وهم اكراد عراقيون • نحو ٣٠٠ مقاتل[٤٠] •

ثالثا المتطوعون من ابناء المدن ، وهم الذين استجابوا للنفير العام •

رابعا : بقايا الجيوش المحلية في بلاد الشام ، وهي المعروفة بـ (عساكر الشام) وتضم عددا من الضباط والمراتب الذين كانوا في الخدمة العسكرية لبعض الحكومات المحلية في تلك البلاد ، والذين اضطروا الى الانسحاب الى مصر ، قاعدة الدولة المركزية انذاك • ويبلغ عددهم في بلاد الشام نحو ٢٤٫٠٠٠[٤١] ومن المحتمل ان بضعة الاف من هذا العدد اتيحت لهم فرصة الانسحاب الى مصر والانضمام الى جيشها ، منهم من كان بخدمة الملك المنصور صاحب حماة واخيه الافضل علي •

ان ملاحظتنا بشأن عدد الجنود الفعلي في الجيش النظامي تجد لها مجالا اوسع للتحقق بالنسبة للقوات القبلية والمجموعات المسلحة غير النظامية ، فقد اعتادت هذه الجماعات على اخذ رواتبها على شكل صفقات بحسب كثرة عدد أفرادها ، وعليه فأن من المعقول القول بأن عدد افرادها الفعلي كان يقل عن عددهم النظري في سجلات الدولة الرسمية الى حد كبير •

خامسا : ويمكن القول ، بناء على ما تقدم ، وعلى ضوء التجارب العسكرية القريبة السابقة بأن عدد أفراد الجيش المصري في معركة عين جالوت كان يزيد على ٤٠٫٠٠٠ وقد يصل الى ٥٠٫٠٠٠ من الخيالة والمشاة وحملة الاثقال (المعدات)[٤٢] •

---

(٤٠) السلوك ٤١١ •

(٤١) ابن شاهين ، غرس الدين خليل : زبدة كشف الممالك . باريس ١٨٩٤ ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥

(٤٢) رأى باحث (المجلة العسكرية • المجلد ٣٩ (١٩٦٢) ص ٤١) ان نسبة الخيالة الى المشاة في الجيش المصري بلغت النصف ، ولم نجد في المصادر التاريخية ما يسند هذا الرأي •

ب ـ الخبرة العسكرية :

كان المماليك ، كما وصفهم كاتب معاصر (فرسان الاسلام المحترفين للحرب في تلك العصور)(٤٣) فجميعهم قد حاز تدريبا عسكريا عاليا وموحدا في ثكنات نظامية في القاهرة استغرق الشطر الاعظم من حياته ، ومعظمهم خاض غمار الحرب الصليبية تحت قيادة امراء ايوبيين محنكين ، وخبروا أساليب المناورة فضلا عن حصار المدن الحصينة ، وبخاصة الواقعة في فلسطين والساحل السوري ، واكتسبوا فهما واسعا لطبوغرافية المنطقة وجغراسياستها • وزاد من معرفتهم هذه ، انضمام قوات سبق ان واجهت الجيوش المغولية في ظروف متنوعة ، كالخوارزمية والشهرزورية ، وقوات شامية اخرى اكثر خبرة بأساليب قتال المغول في بلادهم ، ولقد استفادت القيادة المصرية من تجمع هذه الخبرة فوظفتها لصالحها في معركة عين جالوت توظيفا حسنا قاد الى النصر •

ج ـ القيادة :

اولا : تولى قيادة الجيش المصري رئيس الدولة نفسه وهو السلطان المظفر سيف‌الدين قطز ، وكان احد قادة المماليك الكبار في اواخر عهد الحكومة الايوبية ، وتولى نيابة السلطنة في الفترة الانتقالية القصيرة التي سبقت تشكيل امراء المماليك للحكومة العسكرية في مصر • وعلى الرغم من عدم اقتران اسم قطز بأسم معركة ما فأنه كان ـ على ما وصفه معاصروه ـ (شابا بطلا شجاعا دينا غازيا مجاهدا محببا الى الرعية)(٤٤) وانه كان (حازما حسن التدبير)(٤٥)

---

(٤٣) عمارة : معارك العرب ضد الغزاة ، ١٣٠ •

(٤٤) الذهبي ، محمد بن احمد : دول الاسلام . حيدر آباد ١٣٦٥هـ ، ج٢ ص ١٢٣ •

(٤٥) الكتبي : عيون التواريخ ٢٠/٢٤١ وفوات الوفيات • بيروت ١٩٧٤ • ج١ ص ٢٠١ ووصفه ابن حبيب ، الحسن بن عمر : درة الاسلاك في دولة الاتراك ، بقوله (ملك مقدام ، اسد ضرغام ، حسن الاراء والخصال نافذ السهام ، ماضي النصال ، مبادر الى الطاعة ، مكبر من الصلاة في الجماعة ثابر على جهاد الاعداء أشد مثابرة وطرد عساكر التتار من الشام ، وكسرهم على عين جالوت كسرة جبر بها الاسلام) مخطوطة السليمانية • حوادث ٦٥٧) •

ثانيا : ويبرز الى جانب قطز ، اسم قائد عسكري محنك ، هو ركن الدين بيبرس ، لعب دورا مهما ، بل حاسما ، في الاعداد للمعركة وفي وضع خطتها والمشاركة الفعلية في قيادة الجيش المصري ، ثم بمطاردة فلول المغول في بلاد الشام كلها • وقد اقترن اسم بيبرس ، منذ اول حياته العسكرية ، بمعركة سريعة وناجحة انتصر فيها بقوة محدودة على جيش صليبي كبير قرب مدينة غزة سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م كما سجل انتصارا ساحقا على جيش صليبي اخر في معركة المنصورة سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م وقد اثبتت المعركتان الخبرة العسكرية لبيبرس وحسن اختياره لوقت الهجوم ومكانه(٤٥أ) •

د ـ السـلاح :

كان دور المشاة ـ فضلا عن عددهم ـ اكبر من دور امثالهم في الجيش المغولي ومن عددهم بنسبة غير يسيرة ، وكانت تقاليد الفروسية المملوكية تحتم وجود عدد من الاتباع لكل فارس ، ومن الطبيعي ان يكون هؤلاء الاتباع مسلحين بالاضافة الى سائر المشاة من المسلحين بالسيوف والرماح والبلط والدبابيس • أما الخيالة فكانوا يمثلون القوة المدرعة والسريعة الحركة في آن واحد ، فهم من جهة يتميزون بارتدائهم وجيادهم ، الدروع المحكمة التي نقلوها عن الصليبيين ، ومن جهة اخرى يستخدمون الجياد العربية الاصلية المعروفة بقابليتها الفائقة على الحركة •

التحشد :

١٧ـ الجانب المغولي :

أ ـ أحتشد الجيش المغولي قرب مدينة بعلبك في وسط سهل البقاع(٤٦) وكان اختيار مكان تحشده هذا موفقا لانه يتيح له فرصة استخدام الطرق

(٤٥أ) عاشور • سعيد عبدالفتاح : الظاهر بيبرس • القاهرة ، ١٩٦٣ • ص ١٦ ـ ٢٢ •

(٤٦) أشار بعض الكتاب الى ان الجيش المغولي (تم تحشده في منطقة كائنة جنوب بحيرة طبرية) (المجلة العسكرية • المجلد ٣٩ (١٩٦٢) ص ٤٠)

الداخلية لبلاد الشام بسرعة وكفاءة ، اذ لا توجد حواجز طبيعية تذكر تفصل بين هذه المدينة ومدن فلسطين •

تم حشد الجيش المغولي الذي كان اصلا بقيادة كتبغا ، كما اضيفت اليه قوات الحاميات المغولية والقوات المتعاونة معها ، ولم تتخذ خطة لستر التحشد - لمعرفة القيادة المغولية ببعد مواقع الجيش المصري عن ساحة الحركات ، ولاستهانتها به - ولكن عدم اتخاذها اية خطة ادى الى تسرب اخبار الاستعدادات المغولية بصورة تفصيلية الى القيادة المصرية اولا بأول •

ب - واتخذت منطقة تحشد امامية في منطقة غزة ، حيث اتخذت طليعة الجيش المغولي(٤٧) بقيادة الامير بايدر مواقعها لمراقبة الاحوال ، جنوبي فلسطين ، واستطلاع أي تقدم عسكري مصري باتجاهها •

١٨- الجانب المصري :

اختارت القيادة المصرية (الصالحية) مكانا لتحشد الجيش ، وهي بلدة كان قد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م لاغراض عسكرية(٤٨) في اقصى الشرق من محافظة الشرقية ، على طريق (القنطرة) الحالية ، قرب قناة السويس ، واتخذت منطقة تحشد للجيش المصري عند تقدمه باتجاه الشام في أثناء الحروب الصليبية •

وفي هذا المكان ، جرى استقبال حشود الفرسان (الخيالة) والاجناد (المشاة) والمتطوعين والقبائل • واتخذت التدابير لاكمال التشكيلات ، وتجهيز المواد والاسلحة ووسائل النقل وما يحتاجه الجيش من معدات وخدمات

وما اثبتناه هو ما نص عليه رشيد الدين الهمداني في جامع التواريخ ٣١٣ والكتبي في عيون التواريخ ٢٢٦/٢٠ وايدهما في ذلك كتاب محدثون ، مثل رينسمان ، وعاشور ، والباز العريني •

(٤٧) رشيد الدين ٣١٣

(٤٨) المقريزي : المواعظ والاعتبار ٢٢٧/١ •

اخرى ، مقترنا بعمل مستمر على تعزيز المعنويات ، ورفع روح القتال ، والايمان بالنصر[٤٩] •

وكانت خطة الستر محكمة ، لان أنباء التحشد الضخم هذا لم تصل الى القيادة المغولية الا في وقت متأخر نسبيا ، وبصورة لم تمكنها من تقدير حجم الجيش المصري ومدى استعداده •

التقدم عبر سيناء :

١٩ـ وبعد أن (تكامل عنده العسكر)[٥٠] تقدم قطز بجيشه عبر شبه جزيرة سيناء ، سالكا طريقا صحراوية حديثة ، تقع الى الجنوب من الطريق التجارية المألوفة على ساحل البحر ، ويظهر أن اتخاذه هذه الطريق كان من أجل أخفاء انباء تقدمه لمباغتة المغول في فلسطين •

وفي اثناء تقدمه ، دفع بمقدمة الجيش ، وهي من الخيالة التي يقودها ركن الدين بيبرس أمامه ، فتقدمت هذه بسرعة وخفة فائقة ، وعبر طرق وفرت لها الامن حتى وصلت غزة في اخر الاسبوع الاول من شهر رمضان سنة ٦٥٨هـ / ايلول / ١٢٦٠م[٥١] •

المعركـــــة :

٢٠ـ يمكن تقسيم هذه العملية ، التي سماها المؤرخون معركـة عين جالوت ، الى ثلاث صفحات رئيسة ، هي كما يأتي :ـ

الصفحة الاولى : تحرير غزة والتقدم باتجاه عكا

الصفحة الثانية : معركة عين جالوت

الصفحة الثالثة : المطاردة • معركة ميسان • الاندفاع الى حمص

---

(٤٩) السـلوك ٤٢٩ •

(٥٠) بدائع الزهور ٩٦/١

(٥١) السلوك ٤٣٠ • رينسمان ٥٣٤/٣

٢١ـ الصفحة الاولى :

أ ـ تحرير غــزة :

اولا : الاهداف :

١ ـ السبق في الشروع بالعمل ، حيث ان تحريرها سيرغم القيادة المغولية على تغيير خطتها ومواجهة التقدم المصري بخطة ارتجالية ، وهو ما حدث بالفعل في الصفحة التالية • كما ان تحريرها من شأنه تعزيز معــنويات الجيش الرئيسي المتقدم ، وأطلاق يده عند وصوله فلسطين في توجيه الحركات بما يحقق الهدف ، خاصة وانه ليس للمغول اماكن تحشــد تالية حتى بعلبك •

٢ ـ الحصول على المبادأة في مجال الحركات العسكرية المقبلة[٥٢] ، بفتح المجال لتهديد مواصلات كتبغا اذا تقدم نحو فلسطين[٥٣] ، ومن ثم افقاده حرية العمل ، وحرمانه من فرصة تنفيذ خططه •

٣ ـ ستر تقدم الجيش الرئيسي ، اذ ان تعرض المقدمة على مواقع المغول في غزة من شأنه تضليلهم عن حجم الجيش الرئيسي واتجاه تقدمه ، وتظهر الاحداث التالية ان القيادة المغولية لم تميز بين مقدمة الجيش المصري وسائر فرقه المتقدمة ، ولذلك عجزت عن تقدير الموقف بشكل صحيح •

٤ ـ استطلاع تجمعات المغول ومدى استحضاراتهم[٥٤] •

---

(٥٢) يذكر ابن كثير الدمشقي ان قطز (بادرهم قبل ان يبادروه ، وبرز اليهم واقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه) (البداية والنهاية • بيروت ١٩٦٦ ج١٣ ص ٢٢٠) •

(٥٣) رينسمان ٣/٥٣٥

(٥٤) في السلوك ٤٣٠ (ليعرف اخبار التتر) •

ثانيا : التعرض المصري على غـــزة :

أفتتح الجيش المصري الصفحة الاولى من تعرضه السوقي ، فقد تحركت فرقة الخيالة بقيادة بيبرس واندفعت ـ بشكل مباغت ـ باتجاه مدينة غزة،وطلب القائد المغولي في المدينة بايدر من قائده كتبغا ، في منطقة التحشد الرئيسة في بعلبك ، ارسال تعزيزات عاجلة لانقاذ الموقف ، الا أن الاخير اكتفى بأن اصدر اوامره الى بايدر بالمكوث في مكانه والانتظار(٥٥) • ويدل هذا الامر على احد الامرين الاتيين ، او كليهما :

١ ـ لم تكن لدى كتبغا فكرة واضحة عن عدد أفراد الجيش المصري المتقدم ، فقدر ان بامكان بايدر مشاغلتـــه وكسب الوقت ريثما يصل هـو ، بالجيش الرئيسي الى غزة •

٢ ـ لم تكن معلومات كتبغا عن مراحل طريق غزة ـ القاهرة دقيقة ، كما انه لم يقدر الى اية مرحلة كان الجيش المصري قد وصل حينما ارسل بايدر رســالته •

ولما كانت الانباء قد وصلت الى القيادة المغولية في غزة بأن جيشنا مصرياً يتقدم باتجاه فلسطين وقع في خلدها ان المقدمة التي يقودها بيبرس انما هي الجيش المصري كله ، فأنسحبت بسرعة دونما قتال ، مخلية البلدة ، ثم تراجعت بسرعة للالتحاق بالجيش المغولي المتحشد في بعلبك • وفي رواية مغولية(٥٦) ان بايدر اضطر تحت ضغط من الخيالة المصرية التي تعقبته الى التراجع حتى نهر العاصي •

---

(٥٥) رشيد الدين ٣١٣ •

(٥٦) المصدر نفسه والصفحة

ب ـ التقدم باتجاه عكا (الخريطة رقم ٣)

اولا : بينما اندفع بيبرس بخيالته معقبا القوات المغولية المتراجعة عبر الطرق الداخلية باتجاه الدفاع تقدم قطز بالقسم الاكبر من جيشه فوصل غزة، حيث اقام بها يوما واحدا(٥٧) • ثم تقدم منها تجاه مدينة عكا •

سلك قطز الطريق الساحلية التي تمر بالمناطق الصليبية ، وبخاصة اراضي الامارة الصليبية في عكا ، ولم يسلك الطرق الداخلية وهي التي اختارها المغول في تراجعهم ، وذلك من أجل تحقيق الاهداف الاتية :ـ

١ ـ ترك قوات بايدر المتراجعة في تصورها انها تطارد من قبل الجيش المصري كله ، بينما يقوم هو بمباغته سوقية للجيش المغولي الرئيسي شمالي فلسطين •

٢ ـ الحيلولة دون اجراء أي تعاون أو تنسيق بين القيادة المغولية داخل البلاد والقيادات الصليبية على الساحل ، ومن ثم منع المغول من فرصة تطويق الجيش المصري المتقدم في شمال فلسطين •

٣ ـ تحييد القوى الصليبية بحد ذاته يمثل خطوة سوقية هامة ، اذ يمكن الجيش المصري من الحفاظ على المبادأة ضد الجيش المغولي ، والقيام بعملية تطويق كبرى لهذا الجيش ـ دون خوف من فتح جبهة جديدة ضد الصليبيين ـ اذا ما تقدم كتبغا بأتجاه الجنوب ،أو قطع طرق مواصلاته في الاقل ، اذا ما فضل البقاء في منطقة تحشده في البقاع ، او في جنوبي سوريا •

ثانيا : وصل الجيش المصري الى مشارف عكا ، حيث بذلت جهود دبلوماسية كبيرة من أجل الحصول على حياد الامارة الصليبية في معارك

---

(٥٧) السلوك ٤٣٠ •

الصفحات التالية . ونجحت الدبلوماسية المصرية في تحقيق اهدافها بالاستفادة من التناقضات الجانبية التي ظهرت في تلك الاونة بين الجيش المغولي والامارات الصليبية وتعميقها ، والتلويح بامكانية استفادة الصليبيين من الغنائم المغولية التي سيبيعها لهم المصريون بسعر منخفض(٥٨) .

٢٢ـ الصفحة الثانية : معركة عين جالوت :

أ ـ بوغتت قيادة الجيش المغولي بانباء تقدم الجيش المصري نحو عكا ، وكانت انباء تحرير غزة وتراجع الامير بايدر بقواته ، قد اثارت الحنق في نفس القائد العام كتبغا مما اضطره الى ترك بعلبك بسرعة(٥٩) والاندفاع جنوبا باتجاه دمشق في طريقه الى شمالي فلسطين . وفي اثناء تقدمه وصلته انباء حدوث ثورة شعبية في دمشق ضد الحامية المغولية فيها ، (وربما بسبب سحب تلك الحامية وضمها الى الجيش الرئيسي)فاضطر مرة أخرى الى التأخر من أجل قمع الثورة وتوطيد السلطة المغولية(٦٠) ، ثم التقدم منها ، متخذا احدى الطرق الداخلية (ربما كانت طريق القنيطرة الحالية) بأتجاه بحيرة طبرية . فأجتازت قواته نهر الاردن ، في شمال البحيرة المذكورة ، وتقدمت مستديرة حول ساحلها الغربي باتجاه منطقة عكا حيث يوجد الجيش المصري (الخارطة رقم ٣) .

ولما كانت انباء تحركات الجيش المغولي تصل الى اسماع القيادة المصرية اولا بأول ، فقد غادر الجيش المصري منطقة عكا بسرعة في ٢٣ رمضان سنة ٦٥٨هـ/ ١ايلول ١٢٦٢م) باتجاه الجنوب الشرقي ، فوصل عين جالوت في ٢٤ رمضان (٢ أيلول) حيث اختيرت المنطقة ساحة للمعركة المقبلة .

---

(٥٨) رينسمان ٣/٥٣٥ .

(٥٩) وصف رشيد الدين حالة كتبغا عند وصول انباء تحرير غزة اليه (كأنه بحر من اللهب بسبب الغيرة والغضب ، واقبل معتمدا الى اقصى حد على قوته وسطوته) (جامع التواريخ ٣١٣) .

(٦٠) رينسمان ٥٣٤ .

افرز قطز فرقة المقدمة التي كان يقودها بيبرس ، وكلها من الخيالة ، لتعقب فلول بايدر المتراجعة شمالا من جهة ، ولاستطلاع تجمعات المغول وتحركاتهم من جهة أخرى ، واستدراج الجيش المغولي الرئيسي الذي يقوده كتبغا نحو منطقة عين جالوت[٦١] •

ب الوصف الطبوغرافي :

اولا : (عين جالوت) اسم لبلدة وصفها الجغرافيون العرب بانها (بلدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين)[٦٢] وما زالت خرائبها ماثلة حتى اليوم ، وتقع عند الضفة اليمنى لنهر الجالوت (او جالوت)[٦٣] الذي يأخذ مياهه من عيون قرب زرعين جنوبي بلدة العفولة ، ثم ينساب حتى بلدة (بيسان) ومنها يمضي ليصب في نهر الاردن (شمالي جسر الشيخ حسين) ويحيط بهذا المجرى المائي واد يبلغ طوله ١٧ كيلو مترا ، ويتراوح عرضه بين كيلو ومتر واحد وكيلو مترين تقريبا ، بينما يصل عرض النهر في اقصى اتساعه عند مصبه ٤ أمتار • ويمثل وادي جالوت هذا امتدادا طبيعيا لغور الاردن ، مما دفع ببعض المؤرخين الى القول بأن المعركة جرت في أرض (الغور)

---

(٦١) قال اليونيني (ذيل مرآة الزمان /١/٣٦٥) (وبعث الملك المظفر الامير ركن الدين (بيبرس) البندقداري في عسكر ليتجسس خبر التتر)

(٦٢) ياقوت : معجم البلدان ٣/٧٦٠ وابن عبدالحق : مراصد الاطلاع ٢/٤٠٣

(٦٣) يشير Atlas of Israel المطبوع في الكيان الصهيوني سنة ١٩٧٠ الى خرائب بلدة عين جالوت ولكنه لا يسميها بأسمها التاريخي ، ويحرف الصهاينة اسم الموضع الى عين حارود En Harod بالحاء المهملة ، زاعمين انهـا Harod أو Harodite الـواردة في التـوراة مع انه ليس ثمة اي دليل ، او قرينة ، تدل على بلدة حارود التوراتية هي عين جالوت العربية ، وايجاد اصول عبرانية وهمية للمدن العربية في فلسطين أمر معروف ، ولا تخفى دوافعه ويلاحظ ان واضعي Atlas of Israel قد اسقطوا اسم (عين جالوت) من الخرائط التاريخية عن الفترة ذاتها ، ولانشك في ان اسقاطها كان متعمدا لانها تذكر بأروع انتصار حاسم حققه العرب ، والمصريون منهم بخاصة ، على اعدائهم في فلسطين •

نفسه[٦٤] ويقع الوادي بين سلسلتي جبال الجليل وجبال نابلس ، وفيه تمضي طرق المواصلات بين بيسان عند نهر الاردن ، وعكا على البحر المتوسط، فالسيطرة على الوادي تعني السيطرة على المنافذ المؤدية الى فلسطين ، وعلى عقدة مواصلات جيدة تربط بين بيسان شرقا والناصرة شمالا وجنين جنوبا وعكا غربا[٦٥] •

ثانيا : ويساعد الوصف الذي اوردته الروايات التاريخية عن المعركة ، على التعرف على موقعها بدقة كبيرة • فالتل الذي اشير اليه في روايات الذهبي واليونيني ، لاريب انه الجبل المقابل لخرائب عين جالوت والمعروف حاليا بجبل الدحي ، ويعترض هذا الجبل الطريق الداخل الى الوادي تقريبا ، ويطل عليه من جهته • والجبال التي نوه بها المقريزي وابو الفداء وابن الوردي هي جبل جلبوع بروابيه المتدرجة من وادي الجالوت ، أما مزرعة القصب التي وصفت بأنها بالقرب من ساحة القتال ، فما تزال المنطقة حافلة بأمثالها ، وتقع في قعر الوادي من شرقيه ، ويمكن تحديد هذه المنطقة بين خطي الطول ٢٠ر٣٥ و ٢٥ر٣٥ وخطي العرض ٣٠ر٣٢ و ٣٤ر٣٢ •

ثالثا : أستفادت القيادة المصرية من عدم توفر معلومات كافية لدى العدو عن طبوغرافية المنطقة[٦٦] فأنتخبت المدخل الغربي لوادي الجالوت ، ساحة

---

(٦٤) ابن خلدون : العبر مج٥ ق١ ص ٨٢٠

(٦٥) انظر خمار ، قسطنطين: أسماء الاماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨ • بيروت ١٩٨٠ • ص ٦٠ و ١٧٦ وخمار : موسوعة فلسطين الجغرافية • بيروت ١٩٦٩ • ص ١٦ و ١٨٨ • وقد اسس الصهاينة عند عين جالوت سنة ١٩٢١ و ١٩٢٩ مستعمرتين (كيبوتزين) بأسم (عين حارود) . انظر الصائغ ، أنيس : بلدانية فلسطين المحتلة • بيروت ١٩٦٨ • ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ •

(٦٦) نقل ابن ايبك الدواداري عن الصارم ازبك ، وكان مشاركا في المعركة بجانب المغول ، ومتفقا مع المصريين سرا ، ان هولاكو شكا اليه قلة خبرة اولاده (أي قادة جيشه) الذين سيرهم الى مصر بالبلاد ، بل انه طلب اليه ان يدلهم ، لانه اخبر ببلاده (كنز الدرر وجامع الغرر • ج٨ • تحقيق اولرخ هارمان • القاهرة ١٩٧١ • ص ٥٦ ـ ٥٧) •

قتال مثالية لها ، واجبرت العدو على قبول المعركة فيها ، وتتميز هذه الساحة بعدة مميزات مهمة ، منها :ــ

١ ــ تشعب وادي الجالوت ، في مدخله ، الى عدة وديان قصيرة مما ساعد القيادة المصرية على وضع خطة تعتمد مبدأ الالتفاف من وراء جيش العدو ، ساترة حركة جيشها بالتلال العديدة التي تحيط بتلك الوديان •

٢ ــ وجود جبل مرتفع منفرد ، يتوسط تلك الوديان المتشعبة ، هو جبل الدحي ساعد المصريين على اتخاذه مقرا لقيادتهم ، ومكمنا لفرقة القلب ، وقد هيأ ذلك الموقع الممتاز فرصة الاشراف الكامل على سير المعركة وتوجيهها ، كما مكن القيادة من اخفاء قسم كبير من الجيش وراءه ، وحرم ــ في الوقت نفسه ــ المغول من فرصة القيام بحركة التفاف مقابل(٦٧) •

٣ ــ وجود المستنقعات ومزارع القصب ، في أسفل الوادي ، يعيق حركة الخيالة المغولية ، ويتيح للمشاة المصريين فرصة الالتحام بهم والاطباق عليهم •

٤ ــ عند السيطرة على قمم الجبال المحيطة بالوادي ، يصبح من الميسور التحكم الكامل بما يجري في الوادي نفسه ، ومن ثم منع العدو من القيام بأي نوع من أنواع المناورة التي برع فيها •

---

(٦٧) انفرد ابن العبري في تاريخ الدول السرياني • مجلة المشرق ١٩٥٦ • ص ١٣٨ بالاشارة الى ان المعركة دارت (تجاه جبل تابور)وهي اشارة مهمة ، لان الجبل ما زال معروفا بهذا الاسم حتى اليوم ، وقد دلنا موقعه على طبيعة المناورة التي اجراها الجيش المصري انذاك وموقعه في الشمال قليلا من جبل الدحي المذكور •

ج ـ الاهـــداف

اولا : الجانب المغولي

١ ـ ضرب أي احتمال ممكن لان تتولى القيادة العسكرية في مصر توجيــه تعرض سوقي ضد الجيش المغولي في بلاد الشام •

٢ ـ تحطيم الجيش المصري واذلال قادته من شأنه ان يمنع الشعب العربي في المدن الشامية من اعلان الثورة على المحتلين المغول ، خاصة بعد ان كشفت ثورة دمشق ، عقب وصول أنباء تحرير غزة اليها ، عن تحين السكان لمثل تلك الفرص •

٣ ـ تصفية القيادات العسكرية التي انسحبت من وجه المغول في أثناء تقدمهم في المشرق الاسلامي ، وبخاصة في العراق وبلاد الشام ، وباتت تعد العدة للثأر منهم •

٤ ـ ضرب أي مجال للتعاون وتنسيق المواقف بين القيادة المصرية والموالين لها من القادة والزعماء في بلاد الشــام والجزيرة ، ومن ثم تأمين المغــول لمفاتيح العراق الشمالي •

٥ ـ تأمين جانب السلطة المحتلة في العراق نفسه ، بالقضاء على أي احتمــال لاعادة توحيد الشام بمصر في دولة قوية واحدة ، يكون ظهورها ايذانا بتغير موازين القوى في المنطقة لغير صالح المغول •

٦ ـ الثأر لما حدث في غزة ، عندما اجبرت قوات بيبرس ، القوات المغولية على اخلاء البلدة ،ومن ثم اعادة هيبة المغول في جنوبي فلسطين •

ثانيا : الجانب المصري :

١ ـ الاستمرار بالاحتفاظ بزمام المبادأة السوقية في بلاد الشام ، عن طريق توجيه ضربة قوية وسريعة بالجيش المغولي المتحشد في شمالي فلسطين ، يكون من شأنها تشتيت قوة الخصم ، مما يسهل امر مطاردته وابادته •

٢ ـ تحقيق النصر في شمالي فلسطين سيفسح المجال ، ويهيء الظروف ،لقيام سلسلة من الحركات الثورية في مدن الشام والجزيرة ، تستهدف الاطاحة بسلطات الاحتلال والقضاء على الحاميات المغولية فيها (وهذا ما حدث بالفعل) •

٣ ـ اعادة هيبة الدولة في فلسطين ، وهي مفتاح مصر ، قلب الوطن العربي المتبقي آنذاك •

٤ ـ الحيلولة دون عقد أي تحالف ، ذي طابع سوقي بين المغول والصليبيين أو عدم السماح لهم ، في الاقل ، اقتطاف ثمار هذا التحالف ، ان حصل فعلا •

د ـ خطط الطرفين :

اولا : الجانب المغولـي :

تتلخص الخطة التي وضعها كتبغا ، كما كشف عنها سير القتال، بما يأتي :

١ ـ احداث الارتباك في اجنحة الموضع الدفاعي قبل بدء المعركة ، عن طريق قيام رماة السهام بتوجيـه (عاصفـة السهام) على جيش العدو ، نظرا لصعوبة الالتفاف على تلـك الاجنحـة بسبب استنادهـا الى جانبي الوادي •

٢ ـ القيام بهجوم عام ، ثم تركيز الهجوم على قلب العدو بهدف تفكيك عرى ترتيباته وشطره الى شطرين ، ومن ثم الالتفاف عليهما معا •

٣ ـ ليست ثمة معلومات عن اتخاذ القيادة المغولية اية خطة بديلة عند فشل هذه الخطة(٦٨) •

---

(٦٨) يشير باحث (المجلة العسكرية • المجلد ٣٩ السنة ١٩٦٢ ص ٤٣) الى ان خطة كتبغا كانت تشمل خطة بديلة وهى التظاهر بالتقهقر عند فشل الهجوم

ثانيا : الجانب المصري :

١ ـ استدراج الجيش المغولي الى مدخل وادي الجالوت ، عن طريق اغرائه بوضع فرقة مصرية ذات قابلية حركة عالية في مدخل ذلك الوادي ، ثم سحب الفرقة بسرعة ، ودورانها بشكل محوري على أحد جانبيها بهدف تشجيع الجيش المعادي على مطاردتها والتوغل في الوادي .

٢ ـ تثبيت الجبهة عن طريق تعزيزها بفرقة القلب .

٣ ـ حشد القوات الكبيرة وتوجيهها نحو جناح العدو ، في حركة التفاف واسعة تتخذ من تل القيادة المتوسط محورا لدورانها ، وسترا لها في الوقت نفسه .

٤ ـ الاطباق على العدو من مؤخرته ، فضلا عن مقدمته ، والالتحام به في قتال ثابت ، يساعد على ذلك احاطته بالمستنقعات ومزارع القصب وسفوح الجبال التي يسيطر عليها المصريون(٦٩) .

هـ ـ سير القتال (الخريطتان ٤و٥)

اولا : قسم القائد قطز جيشه الى جناحين غير متكافئين حجما وسلاحا ، فجعل الجناح الايسر عبارة عن فرقة خفيفة من الخيالة ، يقودهم بيبرس ، في

باتجاه المركز لاستدراج العدو للقيام بالمطاردة والتوغل بعيدا عن مواضعه الرئيسية وعندئذ تقوم فرق الخيالة السريعة بالانقضاض عليه بعد وقوعه في المصيدة . وقد نقل صبحي عبدالحميد هذا القول (معارك العرب الحاسمة . بيروت ١٩٨٦ . ص ٢٢١) بحروفه تقريبا . مع أنه لا تتوفر في المصادر التاريخية اية اشارة الى وجود مثل هذه الخطة

(٦٩) يشير انتوني نتنج (العرب انتصاراتهم وامجاد الاسلام ، ترجمة راشد البراوي . القاهرة ١٩٧٤ ص ٣٧٣) الى ان بيبرس دحر المغول (بعد ان طبق التكتيك العربي المجرب ، حيث تظاهر بالفرار واستدرجهم الى كمين من النيران ؟ القاتلة) .

حين جعل الجناح الايسر ، هو الاكبر(٧٠) ، ويتألف من المشاة فضلا عن الخيالة . أما فرقة القلب ، وهي بأمرته المباشرة ، فقد جعلها تتوسط الجناحين ، وتتخذ مواقعها في اكمات جبل الدحي .

ب - افتتح الجناح الايسر المصري المعركة في فجر يوم الجمعة ٢٥ رمضان / ٣ايلول ١٢٦٠م بسلسلة من الاعمال التعرضية السريعة على مقدمة الجيش المغولي ، بهدف استدراجه الى مدخل وادي الجالوت ، وبالفعل فقد انقض الجيش المغولي على هذا الجناح دون ان يحسب حسابا لفرقتي القلب والجناح الايمن ، واغلب الظن انه لم يرهما ، لاختفاء اولهما في الجبل ، واخراهما خلفه . وبحسب الخطة ، امطرت كتائب رماة السهام المغولية المصريين بوابل من السهام .

ثانيا : وعند حدوث الاشتباك بين الجيش المغولي والجناح الايسر المصري ، تظاهر الاخير بالتقهقر - بحسب الخطة الموضوعة مسبقا - امامها ، ليأخذ تقهقره شكل دوران على محور ثابت ، هو جبل الدحي (حيث مقر القيادة وفرقة القلب) حتى اذا ما سد الجناح مدخل الوادي الصغير المتشعب من وادي الجالوت الرئيسي ، في نقطة افتراق الواديين عند الجبل المذكور ، كان الجيش المغولي قد غدا في الساحة في مواجهته تماما .

---

(٧٠) المعلومات عن الجناح الايسر (الميسرة) وحركته متوفرة نوعا ما ، أما الجناح الايمن فلا اشارة اليه في حوادث المعركة كلها ، سوى اشارة عامة ، لكنها مهمة ، اوردها رشيد الدين (جامع التواريخ ٣١٤) مفادها ان المغول فوجئوا بالجيش المصري ينشق عليهم من ثلاث جهات ، وواضح انه يعني الميمنة والميسرة والقلب . واذا كانت الروايات المصرية لاتشير الى الجناح الايمن ، فلان هذا الجناح لم يدخل المعركة الا في الساعات الاخيرة من نهار ذلك اليوم ، ومن المرجح ان صورة الجناح الايسر وهو يتقهقر امام التعرض المغولي ، (وهو جزء من الخطة المصرية) هي التي بقيت في اذهان اولئك الرواة فسجلوها . أما الجناح الايمن فكان مختفيا وراء التل ، وبذلك فلم يتعرض الى ذكره الرواة الذين استقى منهم المؤرخون معلوماتهم . وثمة اشارة مهمة اوردها صاحب كنز الدرر (ص ٥٧) تدل على أهتمام القيادة المصرية بهذا الجناح بصفة خاصة .

ثالثا : في الوقت نفسه كان الجناح الايمن ، وهو الاكبر حجما وقوة ، ومعظمه من المشاة ، قد غادر مواقعه الاولى في الوادي الصغير المشار اليه آنفا ، ومضى يتقدم في داخل الوادي الرئيس ملتفا من امام تل القيادة نفسه، أي جاعلا هذا الجبل محورا ثابتا لحركته ٠

رابعا : وبغية ايقاف انسحاب الجناح الايسر(٧١) ٠ وتثبيت الجبهة امام المغول ، اعطى القائد قطز ايعازه لفرقة القلب بمغادرة مواقعها في اكمات جبل الدحي ، وتعزيز الجناح المذكور(٧٢) ٠ فهبطت تلك الفرقة ، وبضمنها مقر

(٧١) تشير الروايات المصرية (السلوك ٤٣٠ والنجوم الزاهرة ٧٩/٧ وعيون التواريخ ٢٢٧/٢٠) الى انكسار الجناح المصري ٠ بينما لاتشير الرواية المغولية (رشيد الدين ٣١٤)الى ذلك وانما تذكر ان الجيش المغولي استدرج الى كمين ٠ ومعنى هذا ان انكسار الجناح الايسر كان مفتعلا ومرسوما هدفه اتمام عملية الاستدراج ليس غير ٠ ولكن بما ان معظم الجناح الايسر ، وهو الذي يقوده بيبرس ، مكون من عنصر الخيالة ، فلم يكن ممكنا لهذا الجناح التوقف عن الانسحاب ، والبدء بالتعرض المقابل، الا اذا عزز بتقويات جديدة ، وهنا يتمثل دور القلب ٠ ان نزول فرقة القلب الى ساحة القتال وتعزيزها للجناح الايسر لم يكن تنفيذا لخطة بديله ، كما اشار بعض الباحثين (المجلة العسكرية بحث سبقت الاشارة اليه ص٤٥ وعنه ينقل صبحي عبدالحميد : معارك العرب الحاسمة ٢٢٢) اذ لاتوجد معلومات عن مثل هذه الخطة اصلا ، وانما كان جزءا من خطة تثبيت الجبهة والالتفاف على الجناح التي وضعها قطز قبل المعركة واختار ساحة القتال على ضوء مستلزماتها ٠

(٧٢) تذكر الروايات المصرية التي سبقت الاشارة اليها ان قطز لما رأى انكسار جيشه (اي انسحاب الجناح الايسر) رمى بخوذته على الارض ٠ وهتف قائلا (وا اسلاماه) ثلاث مرات ٠ ثم هجم على العدو بنفسه ٠ فتبعه سائر القادة والجند ٠ وكان ذلك بداية لانهيار الجيش المغولي كله ٠ ومن المستبعد ان حركة كهذه ، وهتافا مهما بلغت قوته ، لقادر ـ وسط ضجيج المعركة ـ ان يصل الى اسماع القادة والجند في تلك اللحظات الحاسمة ، حتى يبدل سير القتال برمته ٠ والذي نتصوره ان حركة قطز وصيحته كانتا علامة متفقا عليها ـ فقد كررها في معركة تالية مع قادته وبعض جنده . اذ ما ان فعل ذلك (حتى انكسر المغول) والمعقول ان تلك الاشارة كانت ايعازا بتثبيت الجبهة ، وبدء التعرض المقابل ٠

القيادة ، الى ارض الوادي حيث ابدت من ضروب الشجاعة والاقدام ما اوقف التراجع وثبت الجبهة في تلك المنطقة تماما .

خامسا : وفي الوقت الذي اخذ فيه الجناح الايسر معززا بفرقة القلب، بالتعرض المقابل على جيش المغول ، كان الجناح الايمن قد اكمل التفافه على مؤخرة ذلك الجيش في مدخل الوادي الرئيس . وبذلك تم الاطباق عليه من جهتي الوادي بينما كانت الجبال تطبق على الجهتين الاخريين .

سادسا : ساعد على اتمام عملية الالتفاف هذه ، وجود الجيش المغولي في واد ضيق نسبيا مما حد من مجال حركة خيالته ، واضطر للالتحام بقوات المشاة المصرية المسلحة والمدربة تدريبا جيدا على هذا النوع من المعارك الثابتة ، فـ (تقاتلوا قتالا شديدا) حتى ابيد من المغول (ما لايحصى عدده)[٧٣] وبحسب التقارير المرفوعة الى هولاكو فان (اكثر التتار قد قتلوا واسر من بقي)[٧٤] .

سابعا : لم يستطع المغول تنظيم عملية انسحاب ، فقد قتل كتبغا اثناء المعركة[٧٥] ، واسر ابنه[٧٦] وتشتت القيادة المغولية ، واستطاع القائد

---

(٧٣) ابن العميد ، جرجيس : أخبار الايوبيين ص ١٧٥ .
(٧٤) المصدر نفسه ص ١٧٦ .
(٧٥) تجمع الروايات المصرية (السلوك ٤٣٠ والنجوم الزاهرة ٩٧/٧ وعيون التواريخ ٢٢٧/٢٠ وابن خلدون : العبر ٢٤٧/٥ والذهبي : دول الاسلام ١٢٣/٢ ومختصر تاريخ الاسلام ، الورقة ٢٦٣ وذيل مرآة الزمان ٣٦٥/١) على ان كتبغا لقي مصرعه وهو يقاتل ، وان قاتله هو الامير آقوش الشمسي . بينما ينفرد رشيد الدين (جامع التواريخ ٣١٥) بالقول ان كتبغا (ظل يكافح الف رجل الى ان كبابه جواده في نهاية الامر فاسر) ثم حمل بعدها مكبلا الى قطز حيث دار بينهما حوار اثبت فيه القائد المغولي اخلاصه وتفانيه في خدمة هولاكو واستهانته بالموت في سبيله . والذي نعتقده ان ما نقله رشيد الدين عن المصادر المغولية ، هو ـ في الواقع ـ الرواية التي اريد بها ان تصل الى اسماع هولاكو (وفي الغالب فأن ناقلها هو بيدرا)وقد سمعها بالفعل وتأثر بموقف قائده وصهره كتبغا وشمل بعطفه من بقي من عقبه وأعزهم واكرمهم) .

(بيدرا) التسلل بعدد من جنوده الى خارج الساحة ، تاركا بقية الجيش يواجه مصيره بنفسه ، ولذا فقد أخذ التقهقر شكلا عشوائيا ، ولم يجد بعض الجنود المغول الا تسلق (رؤوس الجبال)(٧٧) المجاورة ، هربا من القتل ، بينما (اعتصم منهم طائفة بالتل المجاور لمكان الموقعة ، فأحدقت بهم العساكر (المصرية) وما برحوا حتى افنوهم قتلا ونجا من نجا)(٧٨) .

وأضطر فوج من خيالة المغول الى الاختفاء في مزرعة للقصب بالقرب من ساحة القتال ، فما كان من قطز الا ان امر جنوده (بان يضرموا فيها النار ، وأحرقوهم جميعا)(٧٩) .

وما ان حل عصر ذلك اليوم ، حتى انتهت كل اشكال مقاومة من تبقى من أفراد الجيش المغولي ، فتم اسرهم ، وأعلن اندحار المغول وانتصار الجيش المصري انتصارا ساحقا)(٨٠) .

---

(٧٦) عيون التواريخ ٢٠/٢٤٣ ويذكر ابن العميد (أخبار الايوبيين ١٧٥) أن أسم هذا الابن هو (قطلو اقيمش) وانه أسر معه اخو كتبغا قبجق وزوجته (وجماعة كثيرة من أعيانهم وغنموا منهم غنائم عظيمة) .

(٧٧) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ٤/٢٠٥ وابن الوردي : تتمة المختصر النجف ، ١٩٦٩ ، ٢/٢٩٥ .

(٧٨) عيون التواريخ ٢٠/٢٢٧

(٧٩) رشيد الدين ٣١٤

(٨٠) تجدر الاشارة هنا الى خارطة للمعركة وضعها احد الباحثين (المجلة العسكرية بحث اشير اليه سابقا ، ص ٤٥) ونقلها عنه صبحي عبدالحميد (معارك العرب الحاسمة ٢٢٢) وتكتنف هذه الخارطة اخطاء جمة ، منها ، انها تجعل لرماة السهام المغول حجما اكبر بكثير من حجم الفرسان ويتناقض ذلك مع قوله ان جيش المغول كله من الفرسان كما انه يجعل بين الفرسان ورماة السهام نهر الجالوت ، وهذا يتنافى مع طبوغرافية الوادي من جهة ، ويجعل بين الفرقتين مجرى مائيا يعيق تقدم الفرسان ، اضافة الى اعاقة رماة السهام لهم . وتشير الخارطة الى ان الفرسان ـ المغول افتتحوا المعركة بالتعرض على القلب المصري وازاحته الى قرب نهر جلبو (كذا

٢٢ ـ الصفحة الثالثة : المطاردة

أ ـ الاهـــداف :

اولا : استثمار الفوز بعدم فسح المجال لما تبقى من الجيش المغولي لاعادة تنظيمه من جديد ٠

ثانيا : اغتنام فرصة تشتت افراد الجيش المغولي لابادتهم ٠

ثالثا : المسارعة الى تحرير سائر بلاد الشام ، من اجل قطع الطريق على هولاكو ان هو اراد ارسال اية تعزيزات جديدة لقواته في المدن الشامية ٠

رابعا : تشجيع سكان المدن والفلاحين على الثورة على سلطات الاحتلال المغولي ودفعهم لشن ما يشبه ان يكون (حرب انصار) ضد فلول الجيش المغولي واية قواعد لـــه ٠

ب ـ ســير القتال :

اولا : بعد توقف القتال في عين جالوت ، تقدم الجيش المصري بقيادة قطز ، باتجاه مدينة بيسان[٨١] ، وكانت فلول جيش المغول قد وصلتها بعد اندحارها في المعركة ، ومن الراجح ان تكون ثمة قوات مغولية كبيرة قد وجدت

والصحيح جلبوع) والصحيح ان هذا القلب لم يدخل المعركة الا بعد مدة من بدئها ، وبهدف مقابلة التعرض المغولي على الجناح الايسر كما ذكر المؤرخون المصريون ولا تشير الخارطة الى أي تعرض مغولي على الجناحين المصريين الايسر والايمن ، في حين كان الجناح الايسر هو أول ما استهدفه المغول في تعرضهم ، وتضع الخارطة فرسان فرقة بيبرس في مكان وراء الجيش المصري ، أي في مؤخرته ، في حين يشير اليونيني الى ان افتتاح المعركة جرى باشتباك بيبرس بالجيش المغولي،مما دل على وجوده في الجناح الايسر،واخيرا فان الخارطة تضع مجرى نهر جلبو (جلبوع) وراء ظهر الجيش المصري ، وهذا مستحيل لان من شأنه ان يعيق أي انسحاب مصري ، لا ان يعيق تقدم المغول كما يذكر الكاتب في بحثـــه ٠

(٨١) تبعد بيسان عن عين جالوت بنحو ١٢ كم ٠

بها قبل المعركـة اصلا • وبينما كانت هذه القوات تحاول اعادة تنظيمها من جديد ، بادأها الجيش المصري بسرعة في تعرض كبير وصف بأنه (اعظم من الاول) [٨٢] الا ان معلوماتنا عنه جاءت قليلة جدا ،ويظهر ان الجيش المغولي حقق تحسـنا ملحوظا في موقفـه في الشـطر الاول من القتال (حتى تزلزل المسلمون زلزالا شديدا)[٨٣] •

الا ان الجيش المصري عاد فشن تعرضا مقابلا عنيفا قلب فيه الموقف لصالحه تماما ، فهزم المغول (وقتل أكابرهم وعدة منهم) •

ثانيا : تقدم قطز ، بعد بيسان ، سالكا الطريق المحاذي لساحل طبريـة الغربي ثم عبر نهر الاردن ، ليصل الى دمشق في ٤ شوال سنة ٦٥٨ (١٣ أيلول ١٢٦٠) وكانت ثورة شعبية عارمة قد طهرت المدينة من السلطة المغولية منذ خمسة ايـام اثـر وصـول انباء هزيمـة المغـول في عـين جالوت ، فوطـد قطز الامن والاستقرار فيها ، وشـرع بالاعداد للصفحة الثالثـة ، والاخيرة ، من صفحات المعركـة ، وهي طرد المغول من بلاد الشام والجزيرة نهائيا •

ثالثا : وفي دمشق افرز قطز فرقة من الخيالة بقيادة قائده ركن الديـن بيبرس فتقدم هذا بسرعة حتى وصل الى حمص ، حيث شن هناك تعرضا على حاميتها المغولية ، قتل فيه معظم افرادها واسر اخرين ، وفعل مثل ذلك في حامية حلب ، مما دفع بالمغول الباقين الى الفرار باتجاه ساحل البحر المتوسط الا ان الانصار هناك قبضوا عليهم[٨٤] •

---

(٨٢) السلوك ٤٣١ .

(٨٣) المصدر نفسه والصفحة . ويلاحظ انه حينما كادت كفة المغول ان ترجح صرخ السلطان نفس صرخته الاولى في عين جالوت (وا اسلاماه) ثلاث مرات ، فكانت تلك الصرخات نقطة تحول في سير القتال لصالح المصريين •

(٨٤) السلوك ٤٣٥ وفيه (فتخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقا كثيرا) وانظر فوات الوفيات ١/٢٣٦ •

رابعا : حاولت بعض الحاميات المغولية في أقليم الجزيرة ان تعيد الاستيلاء على حلب ، بعد نحو شهرين من انتهاء معركة عين جالوت ، الا ان اميرا حمص وحماة (ويتبعان الادارة المركزية في القاهرة) استطاعا دحر التعرض المغولي قرب حمص(٨٤أ) ، فاستقرت الاوضاع الناجمة عن معركة عين جالوت ، وجرى دفع المغول الى شرق الفرات(٨٥) .

٢٣ ـ الدروس المستنبطة :

يمكن اعتبار معركة عين جالوت ، بصفحاتها الثلاث ، من المعارك النموذجية في تاريخ الحروب . فلقد تجلت فيها العبقرية العسكرية للامة العربية ، وتم توظيف التراث العسكري العربي الاسلامي على نحو فائق المستوى ، وحظيت المعركة نفسها ـ بتفاصيلها العديدة ـ بعناية الجانب المصري ودراسته ، بحيث لم تغفل ملاحظة أي من تلك التفاصيل اثناء الاستحضار للمعركة وفي خلالها على حد سواء .

ويمكن استنباط عدد من الدروس المهمة ، التي تمخضت عنها المعركة على النحو الاتي :ـ

أ ـ الاستحضارات المتقنة :

يدين المصريون في انتصارهم ، للاستحضارات المتقنة التي قاموا بها منذ فترة سبقت المعركة بما لا يقل عن سبعة أشهر تقريبا ، وشملت استنفار الفئات

(٨٤أ) ابو شامة ذيل الروضتين ٢١١ والعريني ، السيد الباز : المغول بيروت ١٩٦٧ . ص ٢٦٦ وتجدر الاشارة هنا الى ان بيبرس حرص ـ عندما اصبح سلطانا ـ على تخليد ذكرى ذلك الانتصار باقامة نصب تذكاري في الساحة التي تم فيها نصر المسلمين على المغول في عين جالوت ، وقد اطلق على هذا النصب اسم (مشهد النصر) ويعتبر المثل الوحيد للنصب التذكارية في الاسلام . عاشور ، سعيد عبد الفتاح : الظاهر بيبرس ص ٣٣ .

(٨٥) يحدد ابو شامة ساحة التعرض المصري بأنها (بارض حمص .. عند قبر خالد بن الوليد رضي اللهعنه الى قريب الرستن وذلك يوم الجمعة خامس المحرم (سنة ٦٥٩هـ / ١١ كانون الاول ١٢٦٠م) (ذيل الروضتين ٢١١)

الصالحة للقتال ، من أهل المدن ، وأبناء القبائل ، وتدريبها وتجهيزها بالسلاح وانواع المهمات الاخرى ، وتهيئة وسائط النقل ، كالخيل والبغال والابل بأعداد تكفي لتلبية رغبات القطعات ، وتوفير كميات من الارزاق ومياه الاسقاء للجيش المتقدم ، وخاصة عند اجتيازه شبه جزيرة سيناء ذات الطبيعة الصحراوية الجافة ، على نحو مكنه من الوصول الى مشارف غزة وهو على أحسن ما تقتضيه المعركة من تهيئة واستعداد • كما شملت تلك الاستحضارات ايضا توثيق صلة السلطة بالقبائل ، والاستفادة منها كفرق هجانة تقوم بتوفير الامن للجيش في اثناء تقدمه •

ب ـ تكامل العمل السياسي والعسكري :

ساعد اضطلاع القيادة السياسية المصرية بدور القيادة العسكرية الميدانية على توفير اقصى حد من امكانات السوق الاكبر ليصب في صالح السوق العسكري البحت ، فقد تمت السيطرة فورا على جانب كبير من موارد الدولة وتحويلها لصالح المجهود الحربي ،وفرضت اجراءات تقشفية ،خدمة للمعركة، وسويت مشاكل اقتصادية واجتماعية مختلفة من اجل تهيئة افضل الظروف لها ، وتجلى التنسيق الكامل بين العمل السياسي والعمل العسكري في نجاح الدبلوماسية المصرية في تحييد الامارة الصليبية في عكا في أثناء معركة عين جالوت ، مما وفر للجيش المصري فرصة تركيز قواه كلها ضد عدو واحد ، هو الجيش المغولي •

وبالمقابل ، فأن القيادة المغولية لم تحسن الاستفادة من العمل السياسي لخدمة السوق العسكري ، فعلى الرغم من وجود مواقف مشتركة عامة تجمع بين المغول والصليبيين تصل الى حد التنسيق المباشر احيانا(٨٦) ، فان القيادة

---

(٨٦) انظر لامب ، هارولد : شعلة الاسلام قصة الحروب الصليبية ، ترجمة محمود عبدالله يعقوب • بغداد ١٩٦٧ • ص ٥٦٤ ـ ٥٦٨ ، وعاشور ، سعيد عبدالفتاح : الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣ ١١٣٦/٢ •

المغولية لم تستطع استثمار هذا الوضع السياسي المناسب من اجل الحصول على تأييد امارة عكا الصليبية لها في الصراع ضد المصريين •

ج ـ المعنويات :

كان اهتمام القيادة المصرية بالعامل المعنوي كبيرا منذ فترة الاستحضار للمعركة وربما كان أول ما اولته تلك القيادة من جهد وعناية ، نظرا لحالة اليأس والذعر التي اصابت فئات الشعب المختلفة ، بل والقيادات العسكرية نفسها ، اثر اكتساح المغول للعالم الاسلامي ، والمشرق العربي منه بوجه أخص، ولقد مضى العمل على رفع الروح المعنوية جنبا الى جنب مع العمل على تهيئة الاستحضارات اللازمة الاخرى ، فالخطب الحماسية ، والموسيقى العسكرية[٨٧] وأصوات الخطباء والمنادين امتزجت كلها من اجل بث الثقة بالجيش ، وبالقيادة ، وبامكانية الامة في تحقيق النصر •

د ـ الاستخبارات :

كان للقيادة المصرية نظام استخبار جيد ، تفوق على ما لدى العدو تفوقا كبيرا ، ففي حين افتقر الجيش المغولي الى معلومات مهمة عن تحركات الجيش المصري واماكن تحشده وحجم قواه[٨٨] ، كانت مثل هذه المعلومات تصل بانتظام الى القيادة المصرية ، فتحدد بموجبها اتجاه تقدمها ، وطبيعية الخطط التي ستتبعها في الصفحات التالية من المعركة ، وقد ادى زعماء القبائل العربية في شبه جزيرة سيناء وفي فلسطين دورا مهما في نظام الاستخبار المصري ، مكن الجيش من مباغتة العدو في اكثر من موضع ، في غزة وفي بيسان وغيرها • في

---

(٨٧) تتردد الاشارة الى (الكوسات)و (كوسات السلطان)في فترة الاستحضار للمعركة ، وفي اثناء المعركة نفسها ، والكوسات هي الطبول ، والصنوج ، التي يضرب بها في الحروب ، وفي المناسبات ، ويشبه الضاربون بها عازفو موسيقى الجيش في هذه الايام •

(٨٨) يشير رنسمان ٥٣٦ الى افتقار كتبغا الى الكشافة •

حين حرم الجيش المغولي من فرصة تقدير مواقفه بشكل جيد غير مرة ، مما سهل على القيادة المصرية استدراجه في وادي الجالوت والالتفاف على جناحه، دون ان يكون للجانب المغولي أية فكرة عن الخطة المصرية •

هـ ـ دور القائد :

كان لشخصية القائد المظفر قطز الاثر الكبير فيما احرزه المصريون من نصر باهر ، فقد كانت ظروفه صعبة والتيارات السياسية المتضاربة تسود بلاده ، فضلا عن كونه يرأس حكومة عسكرية حديثة النشوء ، وتفتقر الى ترسيخ الثقة بها لدى فئات الجيش والشعب على حد سواء • ويزيد من أهمية هذه الشخصية انها ذالت مشاكل ما كانت لتذلل لولا الخصائص القيادية البارزة لصاحبها ، فالجيش المصري نفسه كان موزعا ـ بحكم تركيبه وملاكاته ـ الى ولاءات متعددة ، كما يضم خليطا من بقايا جيوش عربية واسلامية عديدة ، ولقد استطاع قطز السيطرة على كل تلك العوامل ففرض شخصيته على جنوده ، وكسب طاعتهم التامة ، وكان لتجوله الدائم بين القطعات ، واشتراكه الفعلي في القتال الى جانب ضباطه وجنده ، أثر كبير اخر في الفوز بالنصر •

ومن ناحية اخرى ، فقد كان من حسن حظ قطز ، انه استطاع كسب اخلاص قادة محنكين ذوي تجربة عريضة في مجال الفن العسكري ، ابرزهم ركن الدين بيبرس ، الذي اظهر بقوة شخصيته ، وتعاونه المطلق مع قائده العام، وبراعته في ادارة المعارك التعبوية التي خاضها ، أنه كان قائدا مبدعا ، لا يقل في خصائصه القيادية ، عن قطز نفسه •

و ـ تجنب الارتجال :

تميزت الحركات التي قام بها الجيش المصري منذ تحريره غزة وحتى الوصول الى الفرات ، بأنها كانت مدروسة دراسة متأنية في كل تفاصيلها ،

فأختيار طرق التقدم ، وتوقيته ، واتنخاب ارض المعركة ، جرى كله قبل نشوب القتال ، كما ان ترتيب الجيش في وادي جالوت ، ووضع اللمسات الاخيرة على خطة المناورة ، تم قبل وصول الجيش المغولي الى ساحة القتال بمدة كافية ، هذا في حين غلب على تفكير الجانب المغولي الارتجال ، فتقدم كتبغا بجيشه الى عين جالوت قبل ان تصله تعزيزات كافية ، وعدم استماعه لاراء القادة العسكريين حول هذا الامر ، اوقعه فيما كان المصريون يعملون من اجله ، من الالتفاف عليه وتدميره •

ز ـ توخى السبق في العمل والمبادأة :

يمكن ان نعد مبدأ السبق في العمل هو الاساس الذي قامت عليه جميع الحركات العسكرية المصرية ، وذلك من اجل اجبار القيادة المغولية على احداث التغيير السريع في خطتها ، او قلبها راسا على عقب ، وأشاعة اكبر قدر من الاضطراب في التفكير السوقي لقادتها • وقد تجلى ذلك السبق في قيام فرقة المقدمة المصرية بالتعرض على غزة وتحريرها ، فيما يعد افتتاحا لاولى صفحات المعركة ، ولقد اثارت هذه العملية الارتباك في الجانب المغولي الذي لم يكن يتوقع ان يسبق في العمل ، فاندفع كتبغا بجيشه الى عين جالوت طالبا الانتقام ، دون ان يدرك انه يلبي بذلك الاندفاع غير المدروس رغبة القيادة المصرية في لقائه في الارض الممتازة التي انتخبتها •

اتسمت حركات الجيش المصري ، بعد حصوله على السبق في العمل ، بالمبادأه المستمرة لخصمه ، وهو ماتمثل في تعرضه على تحشد المغول في بيسان ، وفي حمص ، قبل ان يتم الاخيرون تجميع قواهم وترصين صفوفهم من جديد •

ح ـ الاقتصاد بالقوى :

على الرغم من ضخامة الجيش المصري ، فان القيادة المصرية التزمت بمبدأ الاقتصاد بالقوى الى حد بالغ الروعة ، جنبها مغبة تبديد قواها وتوزيعها على

جبهات متعددة . وقد ساعدت جهود الدولة السياسية على تحقيق امثل لهذا المبدأ ، حين نجحت في ضمان حياد امارة عكا الصليبية ، اذ وفر لهذا الحياد فرصة الاستفادة القصوى من جميع الفرق العسكرية المصرية مرة واحدة في اثناء معركة عين جالوت ، والحاق الهزيمة بالعدو . هذا في حين لم تستطع القيادة المغولية الالتزام بالمبدأ المذكور ، نظرا لاضطرارها الى نشر كتائبها في مناطق ومدن متناثرة للحيلولة دون قيام الثورات والانتفاضات فيها .

ط ــ تقدير عامل الوقت :

احتل عامل الوقت مكانة خاصة لدى واضعي الخطة المصرية في عين جالوت ، فقد اثبتت مراحل المعركة القصيرة ، وهي نهار واحد ، دقة ملحوظة في توقيت اندفاع الفرق العسكرية باتجاه العدو ، وفي تزامن حركتها ، على نحو اضعف قدرة القيادة المغولية على تقدير موقفها في اثناء القتال .

ي ــ استثمار الفوز :

ارتكزت خطة قطز ــ بعد نجاحه في تدمير الجيش المغولي في عين جالوت ــ على عدم فسح المجال لعدوه لاعادة تنظيمه ومضايقته بصورة مستمرة ، ولذا فقد كانت الصفحة الاخيرة من المعركة هي مطاردة تجمعات العدو وفلوله حيثما وجدت في بلاد الشام ، وابادتها ، أو اسرها ، وطرد من تبقى الى ما وراء الفرات . وضاعفت هذه العملية من قيمة الفوز الذي حققه في عين جالوت ، ونجحت في تحقيق غاياته بتدمير اية مرتكزات يمكن ان يتخذها المغول في المستقبل قواعد لتعرضهم على البلاد ، واعادة ضم بلاد الشام الى مصر في دولة قوية واحدة .

٢٤ ــ خلاصة : اهمية المعركة في تطور الفكر السوقي :

ان الاضافة الحقيقية ، والجديدة ، التي اضافتها القيادة المصرية الى الفكر السوقي العربي ، والانساني بعامة ، هي تطويرها البارع لضرب من المناورة

كان شائعا في تراث المنطقة العسكري ، وهو المعروف بالمناورة بضرب الجناح ، بل ان المغول انفسهم طبقوه في أكثر من معركة •

فتقسيم القوات المهاجمة الى جناحين غير متكافئين حجما وحركة ، ودوران الجناحين حول محور واحد تقريبا ، وضمن جدول توقيتات متقن ، لاستدراج جيش العدو الى المنطقة الممتازة ، ثم تثبيت الجناح الاصغر في حين يكون الجناح الاكبر قد داهم جناح العدو من خلفه ، على نحو يشبه حركة المروحة الدائرة ، هو في تقديرنا من الاضافات العربية المهمة الى هذا الضرب من المناورة • وتذكرنا هذه الخطة في اساسها بتلك الخطة السوقية الجريئة التي وضعها فون شليفن رئيس هيئة اركان الحرب الالمانية قبل الحرب العالمية الاولى ، والتي عرفت أحيانا باسم (المروحة) حين جعل قوة الجناح الالماني (وهو الايمن) النسبة للجناح الاصغر (وهو الايسر) كنسبة ٨ : ١ وجعل الجناح الايسر يستدرج القوات الفرنسية في الرين ، بينما يلتف الجناح الايمن الاكبر من الشمال لتقع القوات الفرنسية بين ما يشبه ضلعي المروحة • ورغم ان مستوى الخطة في عين جالوت كان تعبويا ، بينما كان مستواها لدى شليفن سوقيا ، الا ان لنا ان نلحظ ان جوهر الفكر كان واحدا وهو ما يسجل للعبقرية العسكرية العربية سبقها في هذا الجانب من الفكر السوقي بنحو سبعة قرون تقريبا •

مجمل الحوادث

الاحد	١٤ شعبان	٢٥ تموز	قرار مجلس الحرب في القاهرة قبول المعركة والاعلان عنه رسميا بقتل رسل المغول
الاثنين	١٥ شعبان	٢٦ تموز	مغادرة الجيش المصري القاهرة
الثلاثاء	١٦ شعبان	٢٧ تموز	تقدم الجيش المصري باتجاه الصالحية
الاربعاء	١٧ شعبان	٢٨ تموز	وصول الجيش المصري الى الصالحية وتحشده فيها
الاحد	٢٨ شعبان	٨ آب	مغادرة الجيش المصري الصالحية باتجاه فلسطين
الاثنين	٢٩ شعبان	٩ آب	افراز مقدمة الجيش بقيادة بيبرس وصدور الاوامر اليه بالتعرض على غزة
الثلاثاء	١ رمضان	١٠ آب	تقدم بيبرس عبر شبه جزيرة سيناء
الاربعاء	٢ رمضان	١١ آب	وصول نبأ مغادرة الجيش المصري القاهرة الى القيادة المغولية في الشام

الجمعة	٥ رمضان	١٤ آب	تعرض بيبرس على غزة واخلاء المغول لها وانسحابهم منها
السبت	٦ رمضان	١٥ آب	وصول الجيش المصري بقيادة قطز الى غزة
الاحد	٧ رمضان	١٦ آب	الاستراحة في غزة
الاثنين	٨ رمضان	١٧ آب	مغادرة الجيش المصري غزة والتقدم نحو عكا
الجمعة	١٨ رمضان	٢٧ آب	وصول الجيش المصري ضواحي عكا
السبت	١٩ رمضان	٢٨ آب	بدء المفاوضات بين الجانبين المصري والصليبي في عكا للحصول على حياد الجانب الاخير
الاربعاء	٢٣ رمضان	١ أيلول	وصول نبأ تقدم الجيش المغولي من دمشق الى اسماع القيادة المصرية ومغادرة الجيش المصري ضواحي عكا باتجاه عين جالوت

الخميس	٢٤ رمضـــان	٢ أيلول	وصول الجيش المصري الى عين جالوت
الجمعــة	٢٥ رمضان	٣ أيلول	معركة عين جالوت
السـبت	٢٦ رمضـــان	٤ أيلول	انسحاب فلول المغول الى مدينة بيسان
الاحـد	٢٧ رمضـــان	٥ أيلول	وصول انباء النصر في عين جالوت الى دمشـــق / تعـرض الجيش المصـري على مواقع الجيش المغولي في بيســان / معركــة بيسان
الاثنـين	٢٨ رمضـــان	٦ أيلول	اندلاع الثورة في دمشق وطرد ، أو تصفية ، المغول منهـــا
الثلاثــاء	٢٩ رمضـــان	٧ أيلول	وصول مرسوم من الملك المظفر قطز الى اهل دمشق يعلمهم رسـميا بنتائـج معركة عين جالوت
الاربعاء	٣٠ رمضـــان	٨ أيلول	وصول الجيش المصري ضـــواحي دمشـــق وتعسكره فيها

الخميس	١ شــوال	٩ أيلول	افــراز مقدمــة الجيش المصــري بقيــادة بيبرس وتقدمــه شــمالا لمطاردة فلول المغول في بلاد الشام
الاحـد	٤ شــوال	١٣ أيلول	دخول الجيش المصــري دمشق والاعــلان عــن تحرير بــلاد الشــام من الاحتلال المغولي

النصوص التأريخية

تحليل النتائج ومناقشتها

عبدالرحمن بن أسماعيل ابو شامة المقدسى

٥٩٩ – ٦٦٥هـ

١٢٠٢ – ١٢٦٧م

ذيل الروضتين[٨٩]

من ذلك كسرة التاتار[٩٠] : خرج عساكر اهل مصر مع من انضوى اليهم من العرب وغيرهم لقصد التاتار الذين بالشام ، وملكهم يومئذ الملك المظفر قطز بن عبدالله مملوك التركماني الذي كان قبله ملك مصر[٩١] ، فاجتمع معه خلق عظيم . ولما كانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان جاءنا بدمشق الخبر بأن عسكر المسلمين وقع على عسكر التاتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عند عين جالوت وما قاربها من البلاد ، فهزموهم وقتلوهم واخذوهم ومعهم ملكهم[٩٢] كتبغا فقتل وأخذ رأسه واسر ابنه فانهزم تلك الليلة من كان بدمشق من التاتار (ايل سبان) نائب الملك واتباعه ، وتبعهم الناس واهل الضياع ينهبونهم ويقتلون من ظفروا به منهم ولله الحمد والشكر . وممن قتل بعد المعركة الملك السعيد بن العزيز بن العادل صاحب الصبيبة وبانياس ، بقى محبوسا بقلاع الشام بعد موت الصالح ايوب وابنه

---

(٨٩) سماه ناشره (تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين) .

(٩٠) ص ٢٠٧ – ٢٠٨

(٩١) يريد : الملك المعز أيبك

(٩٢) يريد : قائدهم .

تورانشاه وكسر الفرنج بالديار المصرية سنين كثيرة واخرها بقلعة البيرة على الفرات ، فلما وصلت التاتار اليها اخرجوه وصار معهم ، فلما قدم العسكر المصري في هذه الكرة ، قاتل مع التاتار ، فلما وقعت الكرة عليهم ، جاء الى الملك المظفر قطز . وفي ظهر تاريخ الاحد سابععشري رمضان ورد كتاب ـ وهو اول كتاب ورد منه ـ الى أهل دمشق يخبرهم بهذه الكسرة الميمونة وبمواصلة الزحف اليهم بعدها .

المكين جرجس بن العميد

٦٠٢ - ٦٧٢هـ / ١٢٠١ - ١٢٧٣م

أخبار الايوبيين

وفي شهر رمضان[٩٣] سنة ثمان وخمسين وستمائة خرج الملك المظفر قطز صاحب مصر وجميع من وصل اليه من عسكر الملك الناصر ، ومن اجتمع عنده من التركمان والشهرزورية ، لقتال كتبوغا ومن معه من التتار ، واستنقاذ البلاد من أيديهم . وبلغ ذلك كتبوغا ، فسار اليه بمن معه من التتار فالتقت العساكر على عين جالوت من ارض كنعان قريبا من بيسان ، وتقاتلوا قتالا شديدا عظيما ، فحمل المظفر قطز بنفسه ومن معه من العساكر الاسلامية فنصرهم الله على التتار ، وقتل كتبوغا في المعركة ، وقتل من التتار ما لا يحصى عدده . واستولت المسلمون عليهم واسروا منهم ومن نسوانهم خلقا كثيرا ، ومن جملة من أسروا قطلواقيمش ولد كتبغا وقبجق اخو كتبوغا وزوجة كتبوغا وجماعة كثيرة من أعيانهم ، وغنموا منهم غنائم عظيمة ، فكانت كسرتهم يوم الجمعة خامس وعشرين رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وانهزم بيدره معه جماعة من التتار ومضوا الى هولاؤون وأخبره بذلك .

---

(٩٣) ص ١٧٥

غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري

٦٢٤ - ٦٨٥هـ / ١٢٢٦ - ١٢٨٦م

١ - تاريخ مختصر الدول

فبينما[٩٤] هم في ذلك ، وصل خبر ان قوتوز[٩٥] التركماني الذي تولى مصر ، لما بلغه ان هولاكو رجع الى المشرق ، وكتبوغا بعشرة الاف فارس في الشام ، استضعفه ، وجمع عسكرا كثيرا وخرج التقى به وكسره وقتله واستأسر اولاده ،وكان ذلك في السابع والعشرين[٩٦] من رمضان من سنة ثماني وخمسين وستمائـــــه •

٢ - تاريخ الدول السرياني

اما[٩٧] قوتوز التركي الذي تولى مصرفلما بلغه ان هولاكو ابتعد عنه وان الملك الناصر قد قبض عليه وارسل اليه ، ولم يبق في فلسطين الا كتبوغا بعشرة آلاف فارس حشد جيوش مصر وزحف الى مرج باشان تجاه جبل تابور ، وقاتل التتر وانتصر عليهم • وقتل كتبوغا واستأسر اولاده وكان ذلك في ٢٧ رمضان من السنة ٦٥٨ للعرب (١٢٥٩م) فغضب هولاكو لما بلغه الخبر ونوى ان يستأصل شأفة الدولة العربيـــة •

---

(٩٤) ص ٢٠٨

(٩٥) قوتوز صيغة اخرى لاسم قطز

(٩٦) ينفرد ابن العبري في تحديد هـذا التاريخ ، والذي تجمع عليه المصـادر الاخرى ان المعركة التي يشير اليها ، وهي معركة جالوت ، جرت في ٢٥ من رمضان

(٩٧) مجلة المشرق ، السنة ٥٠ ، بيروت ١٩٥٦ ، ص ١٣٨

رشـــيدالدين فضـلالله الهمذاني

٦٨٠هـ / ١٢٨١م

جامـــع التواريخ

في الوقت[٩٨] الذي انصرف فيه هولاكو من الشام،أرسل رسولا مغوليا وبصحبته أربعون من الاتباع الى سلطان مصر يقول :

« ان الله تعالى قد رفع شأن جنكيز خان وأسرته ، ومنحنا ممالك الارض برمتها ، وكل من يتمرد علينا ، ويعصى أمرنا ، يقضي عليه مع نسائه وأبنائـــه وأقاربه والمتصلين به ، وبلاده ورعاياه ، كما بلغ ذلك أسماع الجميع . أما صيت جيشنا الذي لا حصر له ، فقد بلغ الشهرة كقصة رستم واسفنديار . فاذا كنت مطيعا كخدم حضرتنا فأرسل الينا الجزية ، وأقدم بنفسك ، واطلب الشحنة ، والا فكن مستعدا للقتال » .

وفي ذلك الوقت لم يكن قد بقى من سلالة آل كامل (الايوبيين) أحد جدير بالملك . وكان الحاكم رجلا من التركمان . فلما توفي ترك بعده طفلا صغيرا اسمه محمد ، فأجلسوه على العرش في مكان ابيه . وكان قطز اتابكـا له . وفجأة توفى محمد ، وصار قطز سلطانا لمصر ، فاجتذب قلوب الناس بالعدل والاحسان .

وكان أكثر جيوش الشام ومصر من بقايا التركمان والمنهزمين من جيش السلطان جلالالدين خوارزمشاه ممن هزموا على باب أخلاط فساروا نحو الشام . وكان في مقدمة أمرائهم بركت خان والملك اختيار الدين خان ابن مِكرِل والملك سيفالدين صادق خان بن نيكوبوقا والسلطان ناصرالدين كشلوخان بن ايل ارسلان وأطلس خان وناصرالدين قيمري . وحينما عزم

---

(٩٨) ج١ ق٢ ص ٣١٣ .

هولاكو خان على المسير الى الشام تواروا في شتى الاطراف ، ولكنهم عادوا قصتهم ، فطيب خاطرهم ، وعطف عليهم ، ومنحهم اموالا طائلــــة ، فاتفق قصة قصتهم ، فطيب خاطرهم ، وعطف عليهم ، ومنحهم أموالا طائلة ، فاتفق جملتهم على أحقيته في التملك والسيطرة •

ولما وصل رسل هولاكو خان ، احضر قطز هؤلاء الامراء ، واستشارهم في الامر وقال :

« لقد توجه هولاكو خان من توران الى ايران بجيش جرار ، ولم يكن لاي مخلوق من الخلفاء والسلاطين والملوك طاقة على مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ، ثم جاء الى دمشق • ولو لم يبلغه نعى أخيه ، لالحق مصر بالبلاد الاخرى ، ومع هذا فقد ترك في هذه النواحي كيتوبوقا نويان الذي هو كالاسد الهصور ، والتنين القوي في الكمين • واذا قصد مصر ، فلن يكون لاحد قدرة على مقاومته ، فيجب تدبر الامر قبل فوات الفرصة » •

فقال ناصرالدين قيمري :

« ان هولاكو خان فضلا عن أنه حفيد جنكيز خان وابن تولوي وأخو منككوقا آن ، فان شهرتــه وهيبتــه في غنى عن الشرح والبيان ، وان البلاد الممتدة من تخوم الصين الى باب مصر كلها في قبضته الان • وقد اختص بالتأييد السماوي • فلو ذهبنا اليه لطلب الامان فليس في ذلك عيب وعار • ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت أمران بعيدان عن حكم العقل • أنـه ليس بالانسان الذي يطمأن اليه ، فهو لا يتورع عن احتزاز الرؤوس ، وهو لا يفي بعهده وميثاقه ، فانه قتل فجأة خورشاه والخليفة وحسامالدين عكه ، وصاحب اربل بعد أن أعطاهم العهد والميثاق • فاذا ما سرنا اليه فسيكون مصيرنا هذا السبيل » •

فقال قطز :« والحالة هذه،فان كافة بلاد ديار بكر وربيعة والشام ممتلئة بالمناحات والفجائع ، وأضحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابا يبابا ، وقضى على جميع ما فيها من حرث ونسل فخلت من الازواج والابقار والبذور • فلو أننا تقدمنا لقتالهم ، وقمنا بمقاومتهم ، فسوف تخرب مصر خرابا تاما كغيرها من الصلح أو القتال أو الجلاء عن الوطن • أما الجلاء عن الوطن فأمر متعذر ، ذلك لانه لايمكن أن نجد لنا مفرا الا المغرب ، وبيننا وبينه مسافات بعيدة » • فأجاب ناصرالدين قيمري : « وليس هناك مصلحة ايضا في مصالحتهم اذ انه لا يوثق بعهودهم » • وقال ايضا بقية الامراء : « ليس لنا طاقة ولا قدرة على مقاومتهم فمر بما يقتضيه رأيك » عندئذ قال قطز •

« ان الرأي عندي هو أن نتوجه جميعا الى القتال • فاذا ظفرنا فهو المراد، والا فلن نكون ملومين امام الخلق » •

فاتفق الامراء بعد ذلك ثم اختلى قطز بالبندقدار الذي كان امير للامراء وشاوره في الامر ، فقال البندقدار :

« اني ارى أن نقتل الرسل ، ونقصد كيتوبوقا متضامنين • فان انتصرنا أو هزمنا فسوف نكون في كلتا الحالتين معذورين » •

فاستصوب قطز هذا الكلام ، وأمر بصلب رسل المغول بالليل • وفي الصباح وطدوا العزم على الحرب بحكم الضرورة ، وتأهبوا للقتال ، ثم مضوا في طريقهم •

فارسل الامير بايدر الذي كان في طليعة جيش المغول بغزة الى كيتوبوقا بالقرب من بعلبك ، يخبره بتحرك جيش مصر • فرد عليه كيتوبوقا قائلا : « قف مكانك وانتظر » • ولكن قطز داهم بايدر قبل وصول كيتوبوقا وطارده حتى نهر العاصي •

فصار كيتوبوقا كأنه بحر من اللهب بسبب الغيرة والغضب ، وأقبل معتمدا – الى أقصى حد – على قوته وسطوته • وكان قطز قد عبأ الجيش في كمين ، وأعده خير اعداد • ثم ركب هو بنفسه ، وثبت مع نفر قليل من الجند ، وقابل كيتوبوقا مع عدة آلاف من الفرسان كلهم من أهل الحرب والمراس – في « عين جالوت » ، فقذف المغول سهامهم وحملوا على المصريين ، فتراجع قطز ، ولحقت بجنوده الهزيمة •

وهنا تشجع المغول وتعقبوه ، وقتلوا كثيرا من المصريين ، ولكن عندما بلغوا الكمين ، انشق عليهم من ثلاث جهات ، وأغار المصريون على جنود المغول ، وقاتلوهم قتالا مستميتا من الفجر حتى منتصف النهار ، ثم تعذرت المقاومة على جيش المغول ، ولحقت به الهزيمة اخر الامر •

وكان كيتوبوقا يضرب يمينا وشمالا غيرة وحمية ، وكان يكر على اعدائه ، فرغبه جماعة من أتباعه في الهرب ، ولكنه لم يستمع لهم وقال :

« لا مفر من الموت هنا ، فالموت مع العزة والشرف خير من الهرب مع الذل والهوان • وسيصل رجل واحد ، صغيرا أو كبيرا ، من أفراد هذا الجيش الى حضرة الملك ويعرض عليه كلامي قائلا : ان كيتوبوقا لم يشأ أن يتراجع وقد كلله الخجل فضحى بحياته الغالية في سبيل واجبه • ينبغي ألا يشق على الخاطر المبارك نبأ فناء جيش المغول ، وليتصور الملك أن نساء جنوده لم يحملن عاما واحدا ،وأن جياد قطعانه لم تلد المهور • فليدم اقبال الملك • وما دامت نفسه الشريفة آمنة وسالمة ، فانها تكون عوضا لكل مفقود ، اذ أن وجودنا وعدمنا نحن العبيد والاتباع أمر سهل يسير » •

ورغم أن جنوده تركوه وحده • فقد ظل يكافح ألف رجل الى ان كبابه جواده في نهاية الامر فأسر • وكانت هناك مزرعة للقصب بالقرب من ساحة القتال ، فاختفى فيها فوج من فرسان المغول ، فأمر قطز جنوده بأن يضربوا فيها النار ، وأحرقوهم جميعا •

بعد ذلك حمل كيتوبوقا مكبلا الى قطز فقال له :

« أيها الرجل الناكث العهد .. ها أنت ـ بعد أن سفكت كثيرا من الدماء البريئة ، وقضيت على الابطال والعظماء بالوعود الكاذبة ، وهدمت البيوتات العريقة ـ بالاقوال الزائفة المزورة ـ قد وقعت أخيرا في الشرك » .

شـــعر :

« ـ وعندما سمع كلامه وهو مكبل اليدين ،

انتفـض كأنـــه الفيل الهائـج الثمـــــل .

فـأجاب قائلا : « أيهـا الفخـور المغتـــر ،

لا تتبـاه ـ كثيرا بيـــوم النصر هـــذا » .

« فأنا اذا قتلت على يدك فاني أعلم أن ذلك من الله لامنك . فلا تخدع بهذه المصادفة العاجلة ، ولا بهذا الغرور العابر ، فانه حين يبلغ حضرة هولاكو خان نبأ وفاتي ، سوف يغلى بحر غضبه وســـتطأ سنابك خيل المغـول البلاد من اذربيجان حتى ديار مصر وستحمل رمال مصر في مخالي خيولهم الـــى هناك . ان لهولاكو خان ثلاثمائة ألف فارس مثل كيتوبوقا . فافرض أنـه نقص واحد منهم » .

فقال له قطز :

« لا تفخر الى هذا الحد بفرسان توران ، فانهم يزاولون أعمالهم بالمكر والخداع لا بالرجولة والشهامة مثل رستم بن داستان » .

فرد عليه كيتوبوقا .

« انني كنت عبدا للملك ما حييت ، ولست مثلك ماكرا وغادرا وقاتـلا لولاه :

شـــعر :

ـ « فلا كان رأس ، ولا كان جسد للشرير ،

الـذي يقتـل مليكـــه ٠٠٠» ٠

« بادر بالقضاء على باسرع مايمكن حتى لا أسمع تأنيبك » ٠

فأمر قطز بقتله فقصلوا رأسه عن جسده ، وطارد المصريون المغول في جميع انحاء الشام حتى شاطىء النهر (الفرات) ، ثم نهبوا معسكر كيتوبوقا ، وأسروا النساء والاطفال والاتباع ، وقتلوا العمال وحكام الولايات ما عدا عمال دمشق الذين كانوا قد لاذوا بالفرار عندما علموا بالخبر في تلك الليلة ٠

ولما بلغ هولاكو خان نبأ نعى كيتو بوقا ، وعلم بحديثه في ذلك الموقف ، أسف أسفا شديدا على وفاته ، واشتعلت نيران غضبه وقال :

« اين أجد خادما اخر مثله يبدي مثل هذه النوايا الطيبة ، ومثل هذه العبودية ساعة هلاكه ٠٠٠ » وقد شمل بعطفه من بقى من عقبه ، وأعزهم وأكرمهم ٠

مؤرخ عراقي

(القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد)

كتاب الحـوادث(٩٩)

فيها(١٠٠) [سنة٦٥٩](١٠١) سار الملك المظفر قطز صاحب مصر الى الشام لما عرف ان السلطان هولاكو قان قد عاد الى بلاده ، فخرج اليه الامير كتبغا

---

(٩٩) هو الكتاب الذي اعتقد محققه الدكتور مصطفى جواد بأنه « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » للمؤرخ العراقي عبدالرزاق بن أحمد بن محمد ابن الفوطي البغدادي المتوفي سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م ثم تبين فيما بعد انه ليس هو ، وانما هو كتاب في الحوادث ألفه عراقي غير معروف من أهل القرن السابع الهجري ٠

(١٠٠) ص ٣٤٤

(١٠١) كذا في عنوان الفصل ، والصحيح سنة ٦٥٨

ومن معه من العساكر والتقوا واقتتلوا عند عين الجالوت ، فقتل كتبغا وعدة من اولاده وجمع كثير من عسكره ، وانهزم الباقون ، فدخل قطز دمشق واستولى على الشام جميعه واحكم اموره وقرر قوانينه وعاد الى مصر •

قطب الدين موسى بن محمد اليونيني البعلبكي

٦٤٠ - ٧٢٦هـ / ١٢٤٢ - ١٣٢٦م

ذيل مرآة الزمان

فخرج(١٠٢) [قطز] يوم الاثنين خامس عشر شعبان بجميع عساكر مصر مع ما انضاف اليهم من العرب وغيرهم لقصد التتار الذين بالشام • فلما وصل الى مرج عكا اتصل بكتبغا نوين مقدم عسكر التتر بالشام خروج الملك المظفر ، وكان في بلد حمص ، فتوجه الى الغور • وبعث الملك المظفر للامير ركن الدين البندقداري في عسكر ليتجسس خبر التتر ، فلما وقعت عينه عليهم كتب الى الملك المظفر ليعلمه بوصولهم ، ثم انتهز الفرصة في مناوشتهم ليكون له اليد البيضاء عند الاسلام ، فلم يزل يستدرجهم تارة بالاقبال وتارة بالاحجام حتى وافى بهم الى الملك المظفر على عين جالوت فكانت الوقعة التي ايد الله بها المسلمين على التتر ، وأخذ بها منهم ثأر اهل الوبر والمدر ، وحاق بهم مكر السيف ، وحكم فيهم الحتف بالحيف وقتلوهم واخذوهم ومعهم ملكهم كتبغا نوين فقتل وأخذ رأسه وأسر ابنه ، وكانت الوقعة بين التتر والمسلمين على عين جالوت يوم الجمعة خامس وعشرين من شهر رمضان المعظم ووصل الخبر الى دمشق في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، فانهزم تلك الليلة من كان بدمشق من التتار و (ايل سبان) نائب الملك وأتباعه ، وتبعهم الناس وأهل الضياع ينهبونهم ويقتلون من ظفروا به ، فلله الحمد والشكر • وجرد الملك المظفر خلف التتر الامير ركن الدين بيبرس البندقداري فتبعهم الى حمص وقتل وأسر منهم خلقا كثيرا ورجع الى دمشق •

---

(١٠٢) ج١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦

اسماعيل بن علي ، ابو الفـدا

٦٧٢ - ٧٣٢هـ / ١٢٧٣ - ١٣٣١م

المختصر في أخبار البشـر

(وفي هذه السنة)(١٠٣) أعني سنة ثمان وخمسين وستمائة كانت هزيمة التتر في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت وكان من حديثها انه لما اجتمعت العساكر الاسلامية بمصر عزم الملك قطز مملوك المعز ايبك على الخروج الى الشام لقتال التتر وسار من مصر بالعساكر الاسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماة وأخوه الملك الافضل علي وكان مسيره من الديار المصرية في أوائل رمضان من هذه السنة ولما بلغ كتبغا وهو نائب هولاكو على الشام ومقدم التتر مسير العساكر الاسلامية اليه صحبة الملك المظفر قطز جمع من في الشام من التتر وسار الى لقاء المسلمين وكان الملك السعيد صاحب الصبيبة ابن الملك العزيز ابن الملك العادل بن ايوب صحبة كتبغا وتقارب الجمعان في الغور والتقوا يوم الجمعة المذكور فانهزمت التتر هزيمة قبيحـة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واستؤسر ابنه وتعلق من سلم من التتر برؤس الجبال وتبعهم المسلمون فافنوهم وهرب من سلم منهم الى الشرق وجرد قطز ركن الدين بيبرس البندقداري في أثرهم فتبعهم المسلمون الى أطراف البلاد الشرقية وكان ايضا في صحبة التتر الاشرف موسى صاحب حمص ففارقهم وطلب الامان من المظفر قطز فأمنه ووصل اليه فاكرمه وأقره على ما بيده وهو حمص ومضافاتها وأما الملك السعيد صاحب الصبيبة فأنه امسك اسيرا وأحضر بين يدي الملك المظفر قطز فأمر به فضربت عنقه بسبب ما كان المذكور قد اعتمده من السفك والفسق ولما انقضى أمر المصاف أحسن المظفر قطز الى الملك المنصور صاحب حماة وأقره على حماة وبارين وأعاد اليه المعزة وكانت في

---

(١٠٣) ج٤ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦

أيدي الحلبيين من حين استولوا عليها في سنة خمس وثلاثين وستمائة وأخذ سلمية منه وأعطاها أمير العرب واتم الملك المظفر السير بالعساكر وصحبته الملك المنصور صاحب حماة حتى دخل دمشق وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم فان القلوب كانت قد يئست من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الاسلام ولانهم ماقصدوا اقليما الا فتحوه ولاعسكرا الا هزموه فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم وبقدوم الملك قطز الى الشام وفي يوم دخوله دمشق أمر بشنق جماعة من المنتسبين الى التتر فشنقوا وكان من جملتهم حسين الكردي طير دار الملك الناصر يوسف وهو الذي اوقع الملك الناصر في أيدي التتر وفي هذه النصرة وقدوم قطز الى الشام يقول بعض الشعراء

هلك الكـــفر في الشـــام جميعا ... واستجد الاسلام بعد دحوضه
بـــالمليك المظـــفر الملك الار ... وع سيف الاسلام عند نهوضه
ملـك جاءنـا بعـزم وحـزم ... فاعتززنا بسـمره وبيضـه
أوجب الله شـكر ذاك علينـا ... دائما مثل واجبات فروضـه

ثم أعطى الملك المظفر قطز صاحب حماة الملك المنصور الدستور فقدم الملك المنصور قدامه مملوكه ونائبه مبارز الدين أقوش المنصور الى حماة ثم سار الملك المنصور وأخوه الملك الافضل ووصلا الى حماة ولما استقر الملك المنصور بحماة قبض على جماعة كانوا مع التتر واعتقلهم وهنأ الشيخ شرف الدين شيخ الشيوخ المنصور بهذا النصر العظيم وبعود المعرة بقصيدة منها

رعت العدى فضمنت ثل عروشها ... ولقيتها فأخذت تل جيوشـها
نازلـت أملاك التتار فأنزلـت ... عن فحلها قسرا وعن اكديشها
فغـدا لسيفك في رقاب كماتهـا ... حصد المناجل في يبيس حشيشها
فقت الملوك ببذل مـا تحويـه اذ ... حتمت خزائنها على منقوشـها

ومنها

وطويت عن مصر فسيح مراحـل   ما بين بركتها وبين عريشـــها
حتى حفظت على العباد بلادهـــا   من رومها الاقصى الى أحبوشها
فرشت حماة لوطىء نعلك خدها   فوطئت عين الشمس من مفروشها
وضربت ســكتها التي أخلصـتها   عما يشوب النقد من مغشوشها
وكذا المعرة اذ ملكت قيادهـــا   دهشت سرورا سار في مدهوشها
طربت برجعتها اليك كأنما   سكرت بحمرة حاسها او حيشها
لا زلت تنعش بالنوال فقيرهـــا   وتنال أقصى الاجر من منعوشها

وكان خسروشاه قد سـافر من حماة الى جهة الشرق لما بلغه كسرة التتر ثم جهز الملك المظفر قطز عسكرا الى حلب لحفظها ورتب ايضا شمس الدين أقوش البرلي العزيزي أميرا بالسواحل وغزة ورتب معه جماعة من العزيزية

محمد بن احمد الذهبي

٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ / ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨م

١ ـ دول الاسلام

واما(١٠٤) المظفر [قطز] فانفق في جيش مصر والشام أموالا، وخرج للقاء التتار عندما بلغه رجوع هولاكو الى الجزيرة .. فوصلت العساكر الى الشام ، وقصدتهم عساكر هلاكو ، وعليهم المقدم (كتبغا) فوقع المصاف على عين جالوت من أرض بيسان ، فنصر الله دينه وانهزمت التتار وقتل مقدمهم ، وجاء الخبر الى دمشق في الليل

(١٠٤) ج٢ ص ١٢٣

٢ ـ العبر في خبر من غبر

كتبغا[١٠٥] المغلي نوين مقدم التتار ونائب الشام لهولاوو ، قتله اقوش الشمسي في المصاف[١٠٦] ، وكان عظيما عند التتار ، معتمدا عليه لشجاعته ورأيه كان هولاكو يتيمن برأيه ويحترمــه •

٣ ـ مختصر تاريخ الاسلام

وأقبل[١٠٧] الملك المظفر بالجيوش حتى اتى الاردن ، وسار كتبغا بالمغول فنزل على عين جالوت من ارض بيسان ، وكان شاليش[١٠٨] المسلمين ركن الدين بيبرس البندقداري ، فحين طلع من التل أشرف على التتار نازلين ، ووقعت العين في العين ، وكان بينه وبين السلطان مرحلة ، فجهز البريدية في طلب السلطان وقلق ، وقال : ان وِلينا كسرنا الاسلام ، فجعلوا يتقهقرون دون خيلهم حتى نزلوا عن التل الى الخلف ، وضربت التتار حلقة على التل ، وتحيز البندقداري بعسكره ، فلم تمض ساعة حتى جاءته خمسماية ملبشه (كذا) من ابطال الاسلام ، ثم بعد ساعة ، حتى جاءته خمس مائة اخرى ، واما التتر فاشتغلوا ايضا بأخذ اهبتهم للمصاف ، فلاحق الجيش ثم وقع المصاف • قال ابو شامة : لما كان ليلة سبع وعشرين من رمضان جاءنا الخبر بأن عسكر المسلمين وقع على عسكر التتار يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر عند عين جالوت وهزموهم وقتلوا ملكهم كتبغا واسر ابنــه •

---

(١٠٥) ج٥ ص ٢٤٧

(١٠٦) يريد معركة عين جالوت

(١٠٧) مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب في جامعة بغداد ، برقم ١٦٦١ ، الورقة ٢٦٣

(١٠٨) شاليش ، او جاليش : أي قائد مقدمة الجيش

عمر بن مظفر ابن الوردي

٧٤٩هـ / ١٣٤٩م

تتمة المختصر في أخبار البشر

وفيها(١٠٩) كانت هزيمة التتر يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان على عين جالوت ، وذلك ان العساكر الاسلامية لما اجتمعت بمصر سار بهم الملك المظفر قطز مملوك المعز أيبك لقتال التتر ومعه المنصور والافضل أخوه في أوائل رمضان ، وبلغ ذلك كتبغا نائب هلاكو على الشام فجمع من الشام من التتر وسار الى قتال المسلمين ، ومعه صاحب الصبيبة السعيد بن العزيز بن العادل بن أيوب ، والتقوا في الغور يوم الجمعة ، فانهزمت التتر هزيمة قبيحة واخذتهم سيوف المسلمين ، وقتل مقدمهم كتبغا ، واستؤسر ابنه ، وتعلق من سلم منهم برؤوس الجبال ، وتبعهم المسلمون فأفنوهم ، وهرب من سلم الى الشرق ، وجرد قطز بيبرس البندقداري في أثرهم فتبعهم الى أطراف البلاد .

اسماعيل بن عمر ابن كثير

٧٠٠ - ٧٧٤هـ / ١٣٠١ - ١٣٧٣م

البداية والنهاية في التاريخ

ان(١١٠) المظفر قطز لما بلغه ما كان من امر التتار بالشام المحروسة ، وانهم عازمون على الدخول الى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام ، بادرهم قبل ان يبادروه ، وبرز اليهم وأقدم عليهم قبل ان يقدموا عليه ، فخرج في عساكره وقد اجتمعت الكلمة عليه ، حتى أنتهى الى الشام ، واستيقظ له عسكر المغول وعليهم اكتبغا نوين ، وكان اذ ذاك في البقاع ، فاستشار الاشرف صاحب حمص ،

---

(١٠٩) ج٢ ص ٢٩٥

(١١٠) ج١٣ ص ٢٢٠ - ٢٢١

والمجير ابن الزكي ، فأشاروا عليه بان لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو ، فابى الا" ان يناجزه سريعا ، فساروا اليه وسار المظفر اليهم ، فكان اجتماعهم على عين جالوت .

الحسن بن عمر بن حبيب

٧٧٩هـ / ١٣٧٧م

درة الاسلاك في دولة الاتراك

وثابر[١١١] [السلطان الملك المظفر قطز] على جهاد الاعداء أشد مثابرة ، وطرد عساكر التتار من الشام ، وكسرهم على عين جالوت كسرة جبر بها الاسلام ، ودخل دمشق فأصلح امورها ، ورد شاردها ونفورها ، وأذهب لباس الالباس ، ولم يتعرض الى عرض أحد من الناس .

عبدالرحمن ابن خلدون

٧٣٢ - ٨٠٨هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦م

العبر وديوان المبتدأ والخبر

واجتمعت[١١٢] عساكر مصر ، واحتشد المظفر العرب والتركمان وبعث اليهم بالعطايا وازاح العلل وبعث كتبغا الى المظفر قطز بأن يقيم طاعة هولاكو بمصر ، فضرب أعناق الرسل ، ونهض الى الشام مصمما للقاء العدو ، ومعه المنصور صاحب حماة وأخوه الافضل ، وزحف كتبغا وعساكر التتر ومعه الاشرف صاحب حمص ، والسعيد صاحب الصبيبة[١١٣] ابن العزيز بن

---

(١١١) مخطوطة المكتبة السليمانية ، القسم الاول ، حوادث ٦٥٨

(١١٢) المجلد ٥ القسم ١ ص ٨٢٠

(١١٣) في الاصل : الضبيبة ، بالضاد المعجمة ، والصحيح ما اثبتناه

العادل ، وبعث اليهما قطز يستميلها ، فوعـده الاشرف بالانهزام يـوم اللقاء ، واساء العزيز(١١٤) الرد على رسوله واوقع به . والتقى الفريقان بالغور على عين جالوت ، وتحيز الاشراف عندما تناشبوا ، فانهزم التتر ، وقتل اميرهم كتبغا في المعركة .

.. ولقى العادل(١١٥) بيبرس المنهزمين في عسكر من الترك ، فاثخن فيهم وانتهى الى حمص ، فلقي مددا من التتر جاء لكتبغا فاستأصلهم .

أحمـد بن علي المقريـزي

٧٦٩ – ٨٤٥هـ / ١٣٦٧ – ١٤٤١ م

السلوك لمعرفـة دول الملوك

وفيها(١١٦) وصلت رسـل هولاكو الى مصر بكتاب نصـه : « من ملك الملوك شرقا وغربا ، القان الاعظم ، باسمك اللهم باسط الارض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر قطز ، الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الاقليم ، يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك . يعلم الملك المظفر قطز ، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته ، بالديار المصرية وما حولها من الاعمال ، أنا نحن جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه . فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا الينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ . فنحن ما نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكى . وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الارض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد . فعليكم بالهرب ، وعلينا الطلب . فأي ارض تأويكم ، وأي طريق تنجيكم ، وأي بلاد تحميكم ؟

---

(١١٤) كذا ، يريد السعيد ابن العزيز .

(١١٥) كذا ، يريد الظاهر بيبرس

(١١٦) ج٢ ق١ ص ٤٢٧ _ ٤٣١

فما لكم من سيوفكم خلاص ، ولا من مهابتنا مناص • فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال • فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يسمع • فانكم أكلتم الحرام ، ولاتعفون عند كلام ، وخنتم العهود والايمان ، وفشا فيكم العقوق والعصيان • فابشروا بالمذلة والهوان ، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون • وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون • فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصد امانتا سلم • فان أنتم لشرطنا ولامرنا أطعتم ، فلكم مالنا وعليكم ما علينا ، وان خالفتم هلكتم ، فلاتهلكوا نفوسكم بأيديكم • فقد حذر من أنذر،وقد ثبت عندكم أن نحن الكفرة ، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة ، وقد سلطنا عليكم من له الامور المقدرة والاحكام المدبرة • فكثيركم عندنا قليل ، وعزيزكم عندنا ذليل ، وبغير الاهنة ما لملوككم عندنا سبيل • فلا تطيلوا الخطاب ، وأسرعوا برد الجواب ، قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترمي نحوكم شرارها ، فلا تجدون منا جاها ولا عزا ، ولا كافيا ولا حرزا ، وتدهون منا بأعظم داهية ، وتصبح بلادكم منكم خالية • فقد انصفناكم اذ راسلناكم ، وأيقظناكم اذ حذرناكم ، فما بقى لنا مقصد سواكم • والسلام علينا وعليكم ، وعلى من أطاع الهدى ، وخشى عواقب الردى ، وأطاع الملك الاعلى •

ألا قل لمصرٍ ها هلاون قد أتى بحد سيوف تنتضى وبواتر
يصير اعز القوم منها أذلة ويُلحق أطفالا لهم بالاكابر

فجمع قطز الامراء ، واتفقوا على قتل الرسل والمسير الى الصالحية : فقبض على الرسل واعتقلوا ، وشرع في تحليف من تخيره من الامراء ، وأمر بالمسير ، والامراء غير راضين بالخروج كراهة في لقاء التتر • فلما كان يوم الاثنين خامس عشر شعبان ، خرج الملك المظفر قطز بجميع عسكر مصر ، ومن

انضم اليه من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم ، من قلعة الجبل يريد الصالحية •

وفيه أحضر [قطز] رسل التتر ، وكانوا أربعة : فوسط واحدا بسوق الخيل تحت قلعة الجبل ، ووسط اخر بظاهر باب زويلة ، ووسط الثالث ظاهر باب النصر ، ووسط الرابع بالريدانية • وعلقت رؤوسهم على باب زويلة وهذه الرؤوس اول رؤوس علقت على باب زويلة من التتار ، وابقى الملك المظفر على صبي من الرسل ، وجعله من جملة مماليكه •

ونودي في القاهرة ومصر ، وسائر اقليم مصر ، بالخروج الى الجهاد في سبيل الله ، ونصرة لدين رسول‌الله صلى الله عليه وسلم • وتقدم [الملك المظفر] لسائر الولاة بازعاج الاجناد في الخروج للسفر ، ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع • سار حتى نزل بالصالحية وتكامل عنده العسكر ، فطلب الامراء وتكلم معهم في الرحيل ، فأبوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل • فقال لهم : « يا أمراء المسلمين ! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون ، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني ، ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته ، فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين» فتكلم الامراء الذين تخيرهم وحلفهم في موافقته على المسير ، فلم يسمع البقية الا الموافقة ، وانفض الجمع •

فلما كان في الليل ركب السلطان ، وحرك كوساته وقال : « أنا ألقي التتار بنفسي » ، فلما رأى الامراء مسير السلطان على كره • وأمر [الملك قطز] الامير ركن‌الدين بيبرس البندقداري أن يتقدم في عسكر ليعرف أخبار التتر ، فسار [بيبرس] الى غزة وبها جموع التتر ، فرحلوا عند نزوله ، وملك[هو] غزة •

ثم نزل السلطان بالعساكر الى غزة وأقام بها يوما ، ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج ، فخرجوا اليه بتقادم وأرادوا أن

يسيروا معه نجدة • فشكرهم وأخلع عليهم ، واستحلفهم أن يكونوا لاله ولا عليه ، وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس او رجل يريد أذى عسكر المسلمين رجع وقاتلهم قبل أن يلقى التتر •

وأمر [الملك قطز] بالامراء فجمعوا ، وحضهم على قتال التتر ، وذكرهم بما وقع بأهل الاقاليم من القتل والسبي والحريق ، وخوفهم وقوع مثل ذلك ، وحثهم على استنقاد الشام من التتر ونصرة الاسلام والمسلمين ، وحذرهم عقوبة الله ، فضجوا بالبكاء ، وتحالفوا على الاجتهاد في قتال التتر ودفعهم عن البلاد فأمر [السلطان] حينئذ أن يسير الامير [ركن الدين] بيبرس [البندقداري] بقطعة من العسكر ، فسار حتى لقى طليعة التتر • فكتب الى السلطان يعلمه بذلك ، وأخذ في مناوشتهم ، فتارة يقدم وتارة يحجم ، الى أن وافاه السلطان على عين جالوت •

وكان كتبغا وبيدرا نائبا هولاكو ، لما بلغهما مسير العساكر[المصرية] ، جمعا من تفرق من التتر في بلاد الشام ، وسارا يريدان محاربة المسلمين ، فالتقت طليعة عسكر المسلمين بطليعة التتر وكسرتها • فلما كان يوم الجمعة خامس عشري شهر رمضان التقى الجمعان ، وفي قلوب المسلمين وهم عظيم من التتر ، وذلك بعد طلوع الشمس • وقد امتلأ الوادي ، وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين ، وتتابع ضرب كوسات السلطان والامراء ، فتحيز التتر الى الجبل • فعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح عسكر السلطان وانتقض طرف منه ، فألقى الملك المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه الى الارض ، وصرخ بأعلى صوته : « وا إسلاماه ! » ، وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة ، فأيده الله بنصره • وقتل كتبغا مقدم التتر ، وقتل بعده الملك السعيد حسن بن العزيز — وكان مع التتر • وانهزم باقيهم ، ومنح الله ظهورهم المسلمين يقتلون ويأسرون ، وأبلى الامير بيبرس أيضا بلاء حسنا بين يدي السلطان •

ومما اتفق في هذه الوقعة ، أن الصبي الذي أبقاه السلطان من وسل التتر وأضافة الى مماليكه ، كان راكبا وراءه حال اللقاء . فلما التحم القتال فوق سهمه نحو السلطان ، فبصر به بعض من كان حوله فأمسك وقتل مكانه . وقيل بل رمى [الصبي] السلطان بسهمه فلم يخطىء فرسه وصرعه الى الارض، وصار السلطان على قدميه ، فنزل اليه فخرالدين ماما وأركبه فرسه . حتى حضرت الجنائب فركب فخرالدين منها .

ومر العسكر في أثر التتر الى قرب بيسان ، فرجع التتر وصافوا مصافا ثانيا أعظم م ن الاول ، فهزمهم الله وقتل اكابرهم وعدة منهم .وكان قد تزلزل المسلمون زلزالا شديدا ، فصرخ السلطان صرخة عظيمة ، سمعه معظم العسكر وهو يقول : «واسلاماه ! »ثلاث مرات ، « ياالله ! انصر عبدك قطز على التتار » . فلما انكسر التتار الكسرة الثانية ، نزل السلطان عن فرسه ومرغ وجهه على الارض وقبلها ، وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ثم ركب ، فأقبل العسكر وقد امتلأت أيديهم بالمغانم .

فورد الخبر بانهزام التتر الى دمشق ليلة الاحد سابع عشريه ، وحملت رأس كتبغا مقدم التتار الى القاهرة ، ففر الزين الحافظي ونواب التتار من دمشق ، وتبعهم اصحابهم . فامتدت أيدي أهل الضياع اليهم ونهبوهم ، فكانت مدة استيلاء التتر على دمشق سبعة أشهر وعشرة أيام .

عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي

٨٤٩ ــ ٩١١هـ ١٤٤٥ ــ ١٥٠٥

تاريخ الخلفاء

خرج المصريون في شعبان متوجهين الى الشام لقتال التتار فأقبل المظفر بالجيوش وشاليشه ركن الدين بيبرس البندقداري ، فالتقوا هم والتتار

---

(١١٧) ص ٤٧٥

عند عين جالوت ، ووقع المصاف ، وذلك يوم الجمعة خامس عشر رمضان • فهزم التتار شر هزيمة ، وانتصر المسلمون ولله الحمد ، وقتل من التتار مقتلة عظيمة ، وولوا الادبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينتهبونهم ، وجاء كتاب المظفر الى دمشق بالنصر فطار الناس فرحا ، ثم دخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا ، وأحبه الخلق غاية المحبة ، وساق بيبرس وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم عن البلاد •

محمد بن أحمد بن اياس

٨٥٢ - ٩٣٥هـ / ١٤٤٨ - ١٥٢٤م

بدائع الزهور في وقائع الدهور

جاءت(١١٨) الاخبار بأن جاليش عسكر هلاكو ملك التتار قد وصل الى أطراف دمشق ونهبوا البلاد وقتلوا العباد واطلقوا فيهم الزناد ، وكان ذلك في صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة ، فلما وصل الخبرالى الديار المصرية اضطربت وماجت باهلها ، وقد بلغهم ما فعله هلاكو في بغداد وقتله للخليفة المستعصم بالله وما جرى منهم في حق أهل بغداد من القتل والنهب وخراب البلاد كما تقدم في أول التاريخ • ثم ان أميرا من امراء هلاكو الذين وصلوا الى دمشق يقال له كتبغا(١١٩) حضر الى الملك قطز وصحبته أربعة من التتار ومعهم كتاب من عند هولاكو ، وكان مضمونه : من ملك الملوك شرقا وغربا القان الاعظم ، ونعت فيه نفسه بالفاظ معظمة ، وذكر في الكتاب شدة سطوته وكثرة عساكره وما جرى على أهل البلاد منه ولا سيما ما فعله في بغداد وما جرى على أهلها منه ، وارسل يقول : يا أهل مصر ، انتم قوم ضعاف فصونوا

---

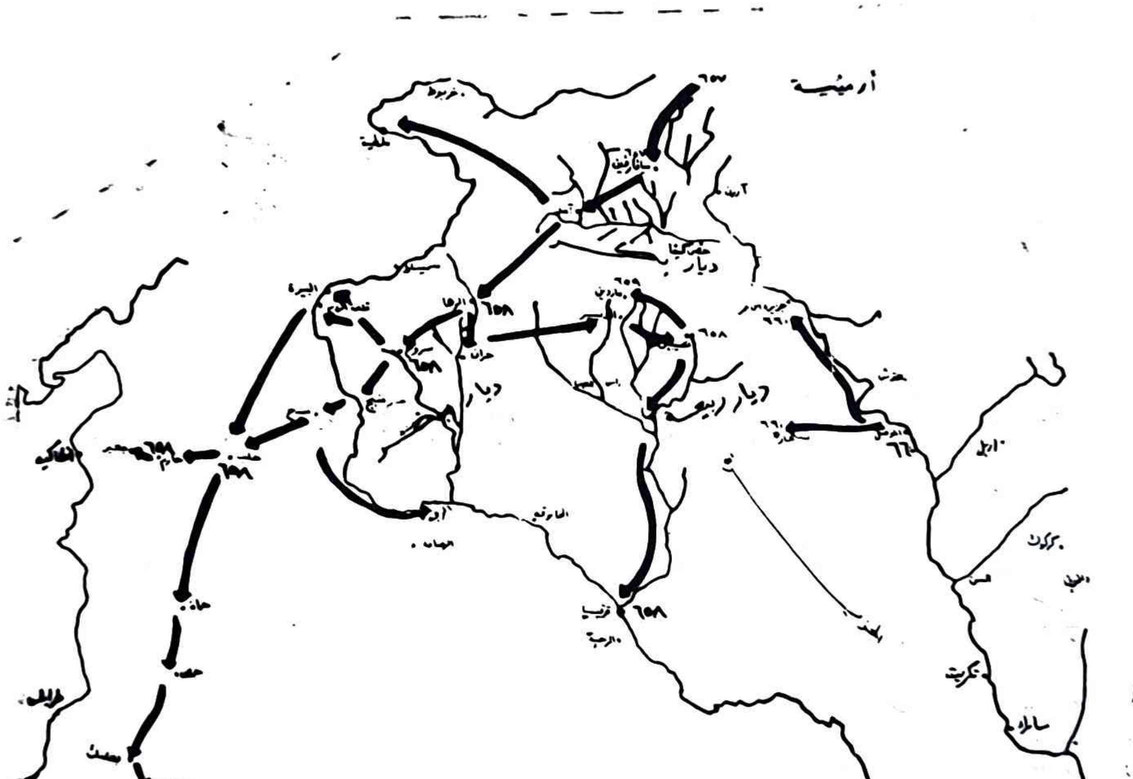
(١١٨) ج١ ص ٩٦ - ٩٧

(١١٩) الصحيح ان كتبغا كان نائبا لهولاكو في الشام وقائدا اعلى لجيشه ، ولم يكن بين رسل هولاكو الى قطز

دماءكم مني ولا تقاتلوني أبدا فتندموا ، وشرع يذكر في كتابه أشياء كثيرة من هذه الالفاظ الفاحشة اليابسة . فلما سمع الملك المظفر قطز مضمون ما في كتاب هلاكو أحضر الامراء واستشارهم فيما يكون من أمر هلاكو ، فقال الامراء نجمع العساكر من سائر البلاد ونخرج اليه ونقاتله أشد ما يكون من القتال . ثم ان الملك المظفر قطز نادى في القاهرة بأن النفير عام الى الغزو في سبيل الله تعالى ، ثم انه عرض العساكر وارسل خلف عربان الشرقية والغربية فاجتمع من العساكر ما لايحصى ، ثم انه أخذ في أسباب جمع الاموال ، فأخذ من أجرة الاملاك والاوقاف شهرا واحدا ، وأخذ من اغنياء الناس والتجار زكاة أموالهم معجلا ، وأخذ من الترك الاهلية الثلث من المال ، وأخذ على الغيطان والسواقي أجرة شهر ، وأحدث من أبواب هذه المظالم أشياء كثيرة ، فبلغ جملة ما جمعه من الاموال في هذه الحركة ستمائة الف دينار انفق على العسكر والعربان وبرز خيامه الى الريدانية ، فلما كان اواخر شهر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة نزل السلطان الملك المظفر قطز من قلعة الجبل وهو في موكب عظيم ، فلما نزل بالريدانية امر بتوسيط كتبغا نوين بك[١٢٠] امير هلاكو ومن معه من التتار . ثم رحل من الريدانية ونزل بمنزلة الصالحية ، وأقام بها الى ان تكامل العسكر ، وجد في السير الى ان وصل الى عين جالوت من ارض كنعان ، فتلاقي هناك عسكر هلاكو وعسكر السلطان قطز ، فكانت الكسرة على التتار فكسروهم وشتتوهم الى بيسان ، وكان ذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة . ثم وقعت بينها وقعة ثانية على بيسان أعظم من الاولى فقتل من التتار نحو النصف وغنم عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة ، من خيول وسلاح وغير ذلك ، فلما جرى ذلك توجه السلطان قطز الى نحو الشام فدخلها في موكب عظيم .

---

(١٢٠) في الاصل (فويز بك) كذا ، وانظر الملاحظة السابقة .

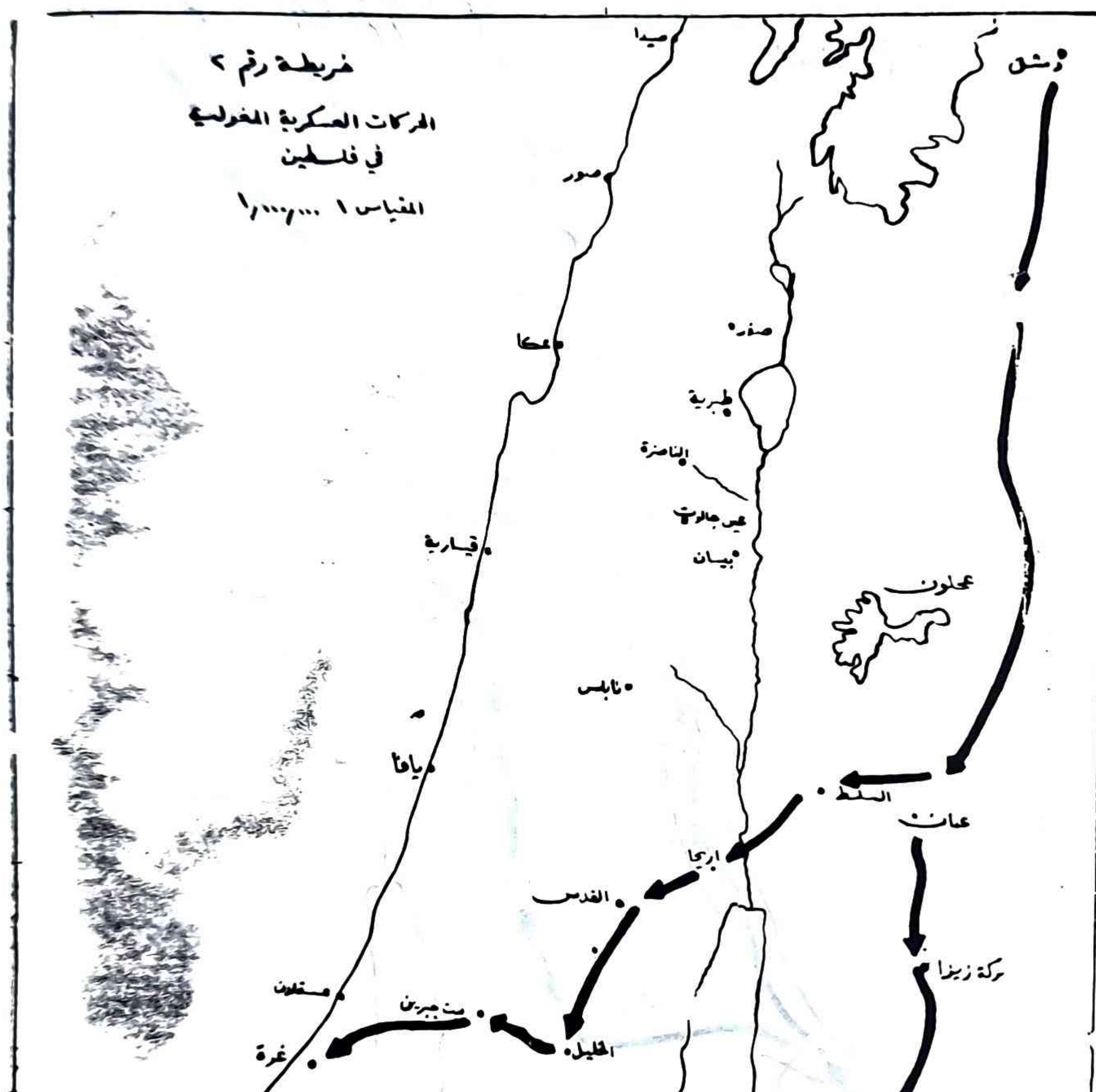


الخريطة رقم (١)

العمليات العسكرية المغولية في بلاد الجزيرة والشام

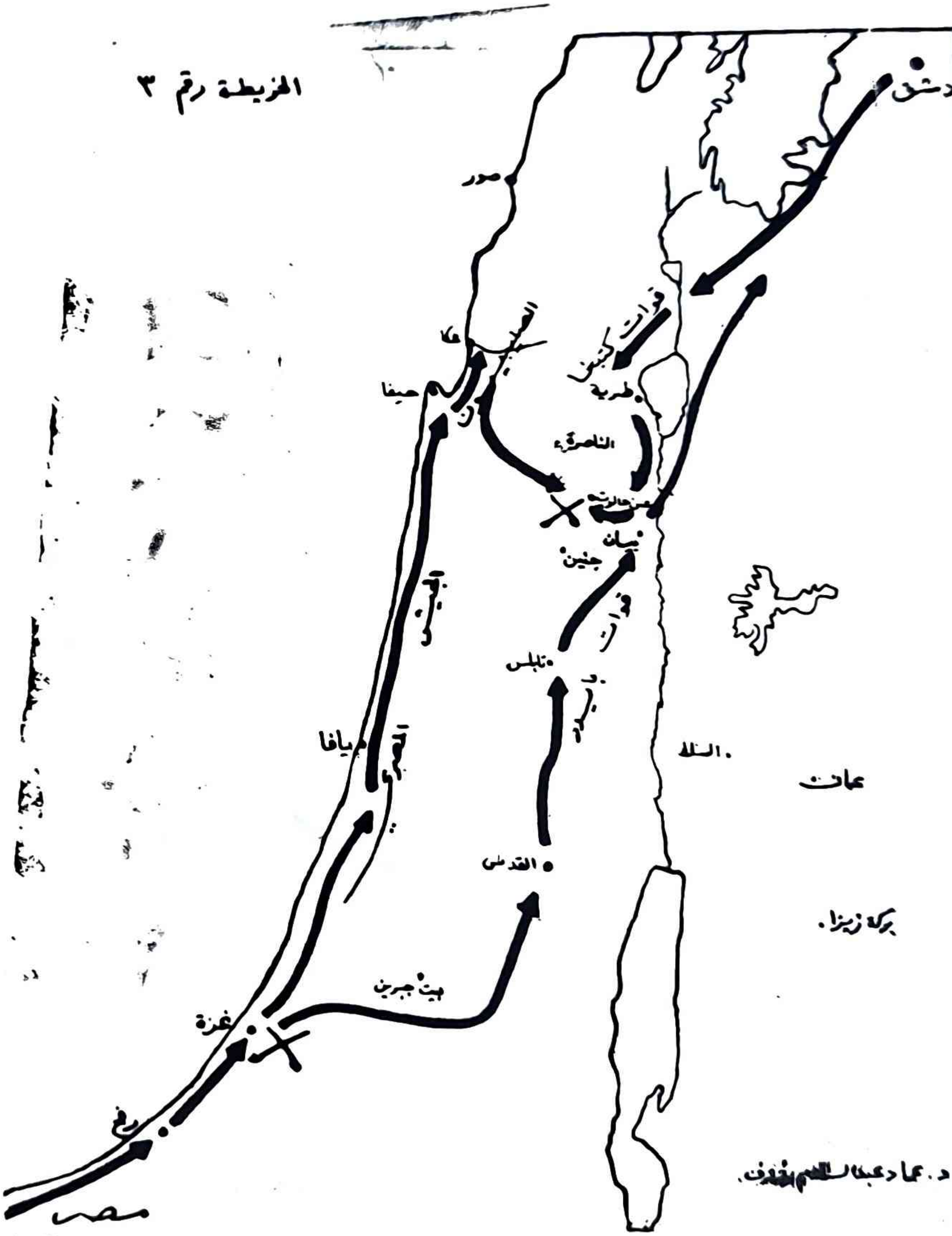
٦٥٧-٦٦٠هـ / ١٢٥٩-١٢٦٠م

د. عماد عبدالسلام رؤوف.



خريطة رقم ٢
الحركات العسكرية المغولية
في فلسطين
المقياس ١ ١٠٠٠٠٠٠
دمشق
صيدا
صور
عكا
صفد
طبرية
الناصرة
عين جالوت
بيسان
عجلون
قيسارية
نابلس
يافا
السلط
عمان
اريحا
القدس
بركة زيزا
عسقلان
بيت جبرين
الخليل
غزة
رفح
بئر السبع
الكرك
العريش
د. عماد عبد السلام رؤوف

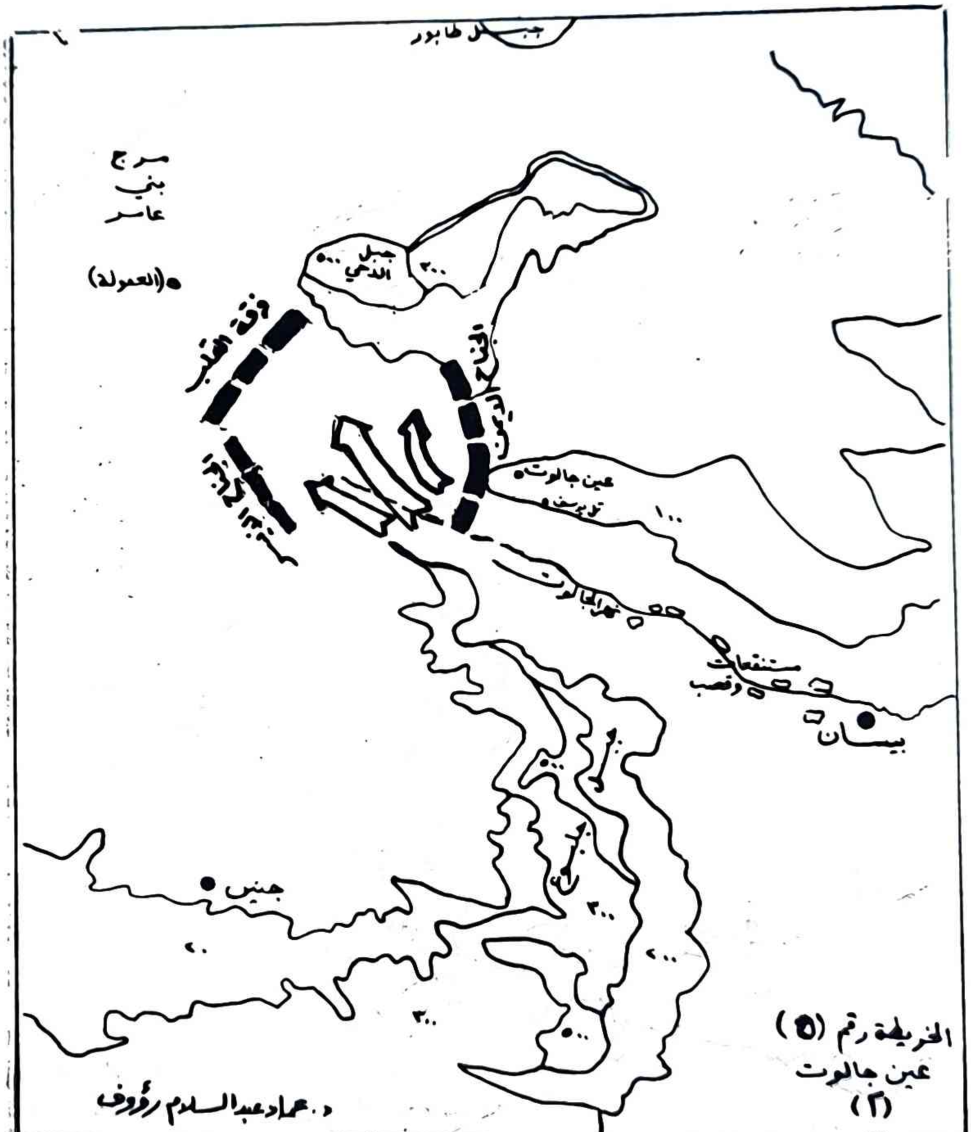
الخريطة رقم ٣





الخريطة رقم (٤)
عين جالوت
(١)

د. عماد عبد السلام رؤوف



الخريطة رقم (٥)
عين جالوت
(٢)

المصادر والمراجع

ابن اياس ، محمد بن أحمد :

بدائع الزهور في وقائع الدهور ، بولاق ١٣١١ هـ ٠

ابن تغري بردي ، أبو المحاسن يوسف :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٢٩ — ١٩٥٦

ابن حبيب ، الحسن بن عمر :

درة الاسلاك في دولة الاتراك ٠ مخطوطة في المكتبة السليمانية باستنبول برقم ٨٤٣ ٠

ابن خلدون ، عبدالرحمن :

العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٦٨

خمار قسطنطين :

— موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩

— اسماء الاماكن والمواقع والمعالم الطبيعية والبشرية والجغرافية المعروفة في فلسطين حتى العام ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٨٠

الداوداري ، ابن أيبك :

كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٨ ، تحقيق اولرخ هارمان ، القاهرة ١٩٧١

الذهبي ، محمد بن أحمد :

— دول الاسلام ، حيدر آباد ١٣٦٥ هـ ٠

— العبرة في خبر من غبر ، تحقيق د ٠ صلاح‌الدين المنجد ، الكويت ١٩٦١

— مختصر تاريخ الاسلام ، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا — كلية الاداب ، بجامعة بغداد ٠

رينسمان :

تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، بيروت ١٩٦٩

السيوطي ، عبدالرحمن :

تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي‌الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٥٩

ابن شاهين ، غرس الدين خليل :

زبدة كشف الممالك ، باريس ١٨٩٤

ذيل الروضتين ، القاهرة ، ١٩٤٧

الصائغ ، أنيس :

بلدانية فلسطين المحتلة ، بيروت ١٩٦٦

ضومط ، انطوان :

الدولة المملوكية ، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ، بيروت ١٩٦٨ .
طرخان ، ابراهيم علي :
النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٨
الطقطقي ، ابن طباطبا :
الفخري في الاداب السلطانية ، القاهرة بلا تاريخ
عاشور ، سعيد عبدالفتاح :
- الظاهر بيبرس ، القاهرة ١٩٦٣
- الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣
ابن عبدالحق ، صفى الدين :
مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع ، ليدن ١٨٥٠ .
عبدالحميد ، صبحي :
معارك العرب الحاسمة ، بيروت ١٩٨٦ .
ابن العبري ، غريغوريوس :
- تاريخ مختصر الدول ، ١٩٥٨
- التاريخ السرياني ، ترجمة اسحق ارملة ، نشر في مجلة المشرق البيروتية سنة ١٩٥٦
العريني ، السيد الباز :
المغول ، بيروت ١٩٦٧
عمارة ، محمد :
معارك العرب ضد الغزاة ، بيروت ١٩٧٥
ابن العميد ، جرجيس :
اخبار الايوبيين
ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل :
- المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ١٣٢٥ هـ
- تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠
ابن الفوطي ، عبدالرزاق (منسوب اليه) :
الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد
الكتبي ، محمد بن شاكر :
- فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٤
- عيون التواريخ ، المجلد العشرون ، تحقيق نبيلة عبدالمنعم وفيصل السامر ، بغداد ١٩٨٠

ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر :
البداية والنهاية في التاريخ . بيروت ١٩٦٦
لامب ، هارولد :
شعلة الاسلام ، قصة الحروب الصليبية ، ترجمة محمود عبدالله يعقوب ، بغداد ١٩٦٧
المقريزي ، أحمد بن علي :
- السلوك لمعرفة دول الملوك . نشره محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٦
- المواعظ والاعتبار في الخطط والاثار . بولاق ١٢٧٠ هـ
المهتار ، طلال عامر :
التاريخ العسكري ، ٤٧٠ ق . م - ١٩٤٥ ، بيروت
نتنج ، انتوني :
العرب انتصاراتهم وأمجاد الاسلام ، ترجمة راشد البراوي ، القاهرة
ابن الوردي ، عمر :
تتمة المختصر في اخبار البشر ، النجف ١٩٦٩
الهمذاني ، رشيد الدين :
جامع التواريخ ، ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد عبدالمعطي ، القاهرة -
ياقوت الحموي :
معجم البلدان ، بيروت ١٩٦٥
اليونيني ، قطب الدين موسى :
ذيل مرآة الزمان ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٥

المحتويات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغـداد
١٢٤٥ لسنة ١٩٨٦

السعر ٥٠٠ فلس

دار الحرية للطباعة : بغداد